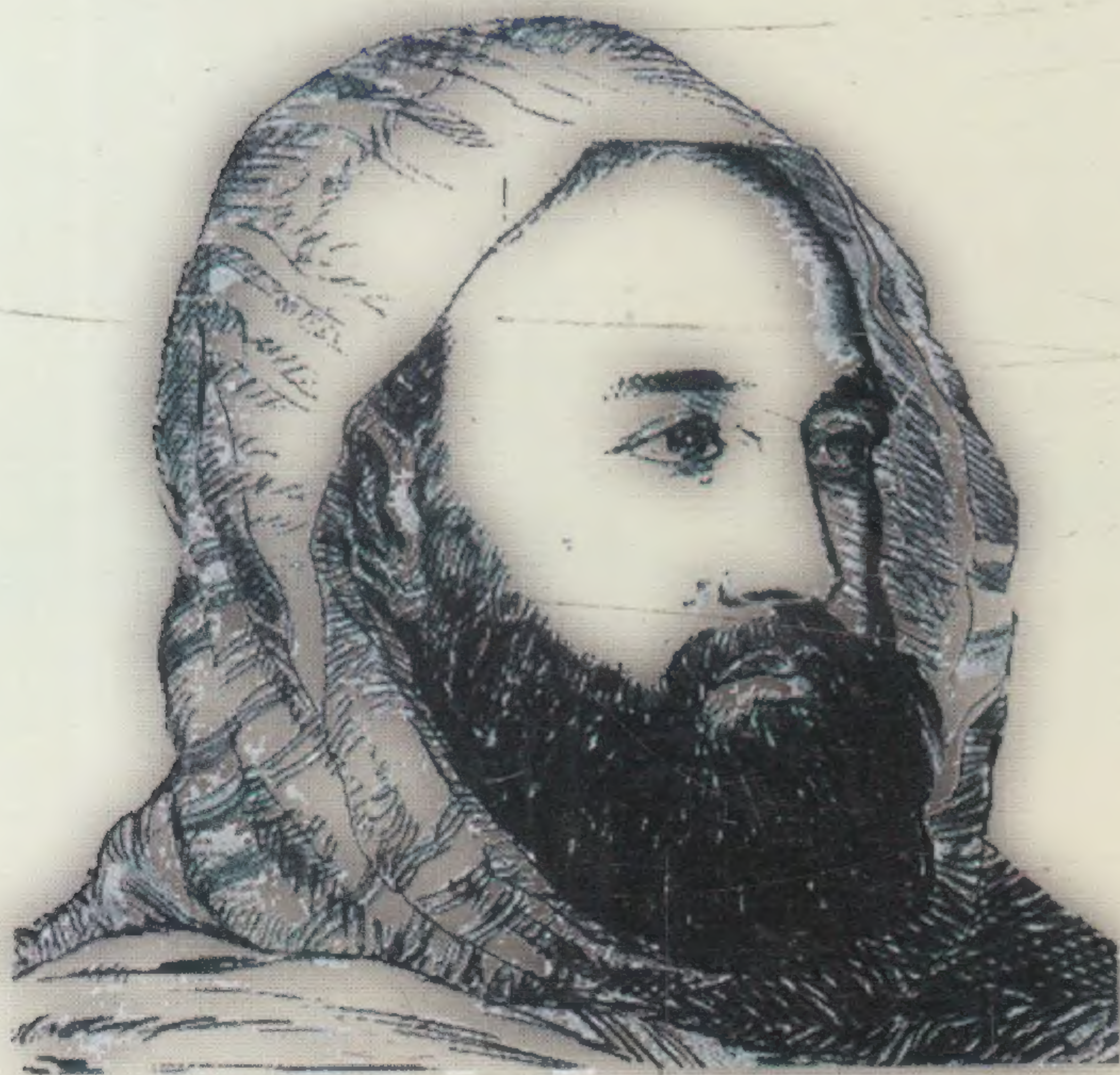




مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ديوان
الشاعر الأُمير

عبدالقادر الجزائري



جمع وتحقيق
الدكتور العربي دحو
راجعه
الدكتور محمد رضوان الداية



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ديوان
الشاعر الأمير

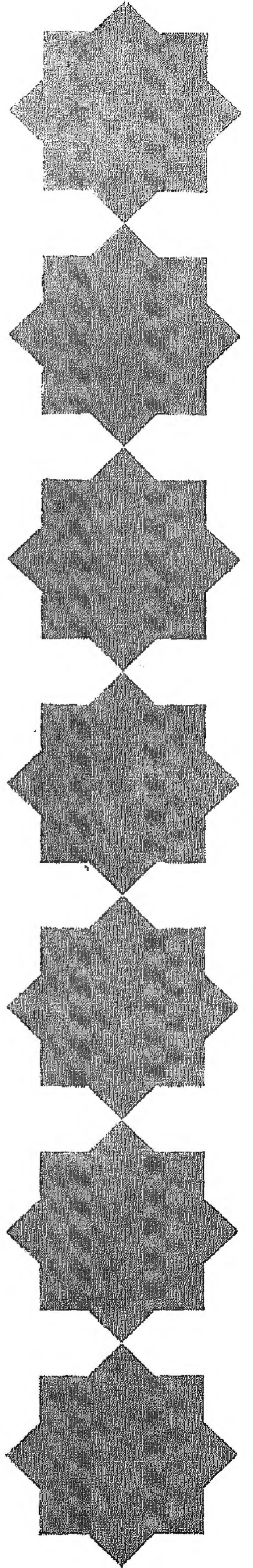
عبدالقادر الجزائري

جمع وتحقيق

الدكتور العربي دحو

راجعته

الدكتور محمد رضوان الداية



أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعته الباحث
في الأمانة العامة للمؤسسة إيهاب النجدي

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي: محمد العلي

الطباعة والتنفيذ: أحمد متولي - أحمد جاسم

حقوق الطبع محفوظة



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

تلفون: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

2 0 0 0

تصاير

الأمير عبدالقادر الجزائري صوت فذ من أصوات العروبة والجهاد في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، فقد كانت سيرة حياته بخطوطها القريبة والبعيدة ترجمة أمينة لتآلف الوجدان العربي، مشرقه ومغربيه، وشوقه للخلاص من سطوة الجهل والخرافة وعبادة الذات القبلية.

والتأمل في دفتر هذه الحياة يعجب ، ويتساءل : كيف حققت حياة واحدة بما يمكن أن تحفل به حيوات عدة؟ وكيف اتسعت لكل تلك الحوادث المتباينة الشؤون والشجون؟ وكيف نظم في سلك واحد بين الإمارة والفقة والجهاد والشعر والسيف والصوفية؟ والفارس العاشق نفسه أمسك بلحظة من تلك اللحظات المدهشة فقال :

ومن عجب تهاب الأستاذ بطشي

وَيَمْنَعُنِي غَزَالٌ عَنْ مَرَادِي

ولا يعنينا - هنا - أن هذا البيت موصول بالبيت القديم:

نحن قـومٌ تـذـيـبـنا الأـعـيـنُ النـجـل

على أنفنا نذيبُ الحـمـدَ ديداً

بقدر ما تعيننا دلالاته على تلك الشخصية الشريفة ، التي جمعت في إهابها ألواناً من
المكرّمات ، ومنحت عصرها كثيراً من التجليات .

والصور التي يمكن للإنسان أن يقف أمامها في حياة هذا الأمير المناضل أجل من أن تحصيها كلمات عجلى ، لكن الوجه الشعري - وهو من أصدق وجوهه - يظل في حاجة إلى التطلع إليه وقراءته والتعاطف معه ، ويأتي هذا التحقيق الجديد لديوانه ملبياً لهذه الحاجة ، كما يأتي استلهاماً لقيم البطولة والعروبة والتسامح ، وتواصلاً للوعي المعرفي بأدوات التحقيق العلمي .

ويضم هذا الديوان - لأول مرة - كل شعر الأمير ، بما في ذلك أشعاره في «المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد» و«المذكرات» رغم ما بدا فيها من ملامح الضعف الفني ، فلم يسقط المحقق منها شيئاً ، التماساً للموضوعية ، وتصديقاً للهدف الأساسي من إعادة طبعه وهو «الجمع والتحقيق» ، لذا نجد - بوضوح - في هذه الطبعة النص على مواضع الاختلاف في الطبعات السابقة ، وشكل الأبيات والالتفات إلى المعاني المقتبسة من القرآن الكريم والموروث الأدبي القديم ، مما أكسب الهوامش لوناً من الجدية في التناول .

لا يتبقى لي - وأنا أقدم هذا الديوان حفيأ به ومغتبطاً له - إلا أن أذكر شاكراً جهود إخوة كرام أسهموا جميعاً في إخراج هذا الديوان / الرمز ، وأخص بالذكر المحقق الدكتور العربي دحو ، والمراجع الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية .

إنها التحية للأمير عبدالقادر الجزائري ، تجددتها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، إذ تصدر ديوانه في دورتها السابعة ، دورة «أبوفراس الحمداني» تلك الدورة المميزة اسماً وزماناً ومكاناً .

وبالله التوفيق ، ،

عبدالعزیز سعود البابطين

أغسطس ٢٠٠٠

مقدمة

إن الاهتمام بتراثنا الثقافي العربي بعامة ، والشعري منه بخاصة يعد من الضروريات - ولا شك - فلقد قيل قديماً : «الشعر ديوان العرب» ويغدو ذلك الاهتمام من أوجب الواجبات حين يكون ممثلاً لشخصيات بارزة في وطننا العربي ، وعالمنا الإسلامي ، كان لها ما كان من الحضور المتميز في الوجدان العربي والإسلامي لسبب من الأسباب أو لعدة أسباب ، والأمير عبدالقادر الجزائري الذي أقدم ديوانه اليوم للقارئ العربي بخاصة ، والقارئ أياً كان بعامة ، لهو من الأسماء التي تشغل مساحة محترمة في الذاكرة العربية ، والإسلامية ، والإنسانية ، ما يعني أن العودة إلى أعماله ، ومنها ديوانه الشعري تظل متواصلة ، لأنها حتى الآن لم تأخذ العناية جمعاً وتحقيقاً ودراسة ونشراً ، وصاحبها شغل الآفاق بحياته ، المملوءة جهاداً وإبداعاً ، وسلوكه الإنساني الذي غدا مضرب مثل عند العدو قبل الصديق .

ومن هنا - إذ أعود مجدداً إلى ديوانه مخرجاً إياه بالصورة التي هو عليها - فإن الفضل كل الفضل يعود إلى الأستاذ الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين الذي شرفني بإعادة تحقيقه بمناسبة الاحتفاء بالشاعر الأمير على هامش الدورة السابعة للمؤسسة العامة الميمونة المباركة المخصصة هذه السنة لـ «أبي فراس الحمداني» ، إذ لولا فضله ، وكرمه وتشجيعه الدائم وأسرة المؤسسة لما التفت إلى الديوان ، ولا إلى صاحبه على الرغم من إنجاز بحث متواضع عنه ، وعن شعره في مرحلة اليسانس بجامعة قسنطينة .

ولعلي أكون - وأنا أقدم الديوان مجدداً كما أسلفت - قد استفدت كثيراً من جهود الذين سبقوني في إخراجه ، وهو مالا يخفى على أحد ، ولا يجحد بحال من

الأحوال ، كما أتمنى أن أكون قد فتحت آفاقاً ، أو أفقاً - على الأقل - أمام من يتناول الديوان لاحقاً ليضيف ما يضيف ، ويقوم ، ما يقوم ويلغي ما يلغي بحسب ما ينتهي إليه جهده واجتهاده من مستجدات ، أو آراء في أي مستوى كان .

وإذا كان المؤلف أن كل عمل علمي يعتمد فيه على منهج من المناهج ، وكان هذا العمل محدداً في التحقيق ، فإن السائد - حتى الآن - في هذا الحقل لا يتجاوز منهجين بارزين هما :

- ١ - اعتماد نسخة وعرض بقية النسخ عليها ، والتنويه إلى الخلافات الموجودة بينها .
- ٢ - أو صناعة نسخة بالاعتماد على النسخ المتوفرة في حالة عدم إمكانية تحقيق المنهج السابق لأسباب تحول دون ذلك ، وهذه الطريقة ، أو هذا المنهج يعتمد في الغالب عندما لا توجد نسخ للأثر العلمي المقصود تحقيقه ، مع غض النظر عن المنهج المعتمد في جمع المادة من مصادر مختلفة عندما لا توجد أي نسخة لذلك الأثر ، وهو ما لا نحتاجه مع ديوان الأمير عبدالقادر الذي نشر أكثر من مرة ، بجهود عدد من المحققين ، الأمر الذي جعلنا نختار منهج اعتماد نسخة من نسخ الديوان ، والمقارنة بينها وبين بقية النسخ الأخرى ، مع التنويه إلى الخلافات الموجودة بينها ، وتخريج ما لم يخرج عند من سبقنا وتوثيق غير الموثق ، وشرح غير المشروح ، إلى غير ذلك من الملاحظات والتنبيهات التي يتابعها القارئ في مظاهرها في المتن أو في الهامش ، مما يعني أننا لم نسرف في التقيد الصارم بمنهج واحد كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، سعياً إلى الاقتراب من الكمال الذي يظل منشداً أبداً .

وبهذا المنهج الذي استأنسنا به انتهينا إلى أن تكون مواد الديوان محددة في شكله هذا ، والذي احتوت دفئا سفره على المقدمة ، وترجمة الشاعر بقلم ابنه الأمير محمد باشا والتعريف بنسخ الديوان المنشورة ، ثم شعره الذي عد مكوناً لديوانه عند من

تقدمنا، تلا ذلك ملحقان : الأول وفيه جمعنا شعره الموجود في «المواقف»، والذي أبعد جله عن الديوان، والثاني وقد خصصناه لقصيدتيه الواردتين في مذكراته عن مدينة «طولون»، ورحلته إلى «بو» في أثناء وجوده بفرنسا، ثم أنهيناه بفهارس الأعلام، والأماكن، ومطالع القصائد والقوافي، وقائمة المصادر والمراجع، والفهرس العام.

وأملنا أن نكون قد حققنا بعض أهداف المؤسسة الراعية لإصدار الديوان، فإن كان ذلك فهو الحلم والمنى، وإن لم يكن فإننا قد اجتهدنا، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وعذرنا كل عذرنا في الوقت القصير الذي أنجزنا فيه العمل.

والله من وراء القصد فهو نعم الولي ونعم النصير.

ترجمة الناظم رضي الله عنه

بقلم: الأمير محمد ولد الشاعر

هو فرع الشجرة الزكية ، وبدر العصابة الحسنية . إنسان عين السادة الأخيار ، وعقد جيد القادة الأبرار . صدر الشريعة بل تاجها ، بدر الحقيقة بل معراجها ، نخبة آل بيت اشتهرت بالشرف أوائلهم وأواخرهم ، وأشرقت في أفق سماء السعادة فضائلهم ومفاخرهم . من عجزت عن حصر أوصافه الأقلام ، وتباهت بوجوده الليالي والأيام ، وتزينت الطروس بغرر مزاياه ومدائحه ، وتلت النفوس آيات الحمد والإخلاص في صحائفه . واسطة عقد الشرف المقتنى ، وغصن شجرة المجد المجتنى . كعبة القاصدين ، حرم الخائفين ، ناصر الدين ، الأمير عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبدالقادر بن خدة بن أحمد بن محمد بن عبدالقوي بن علي بن أحمد بن عبدالقوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبدالقوي بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء . بضعة خير الأنام ، عليه أفضل وأكمل السلام .

ولد قدس الله سره في رجب سنة ألف ومئتين واثنين وعشرين ببلدة القيطنة التي اختطها جده بإيالة وهران من أعمال الجزائر ثاني أنجال والده ووالدته السيدة الزهراء بنت السيد عبدالقادر بن دوخه الحسيني تربي في حجر والده وفي مدرسته حفظ القرآن . وأخذ العلم عن أهل العرفان ، وفي سنة مئتين وست وثلاثين سافر إلى وهران وحصل ، حتى برع في كافة الفنون وكمل ، وفي سنة مئتين وإحدى وأربعين سافر منها

برأ صحبة والده ذي الكمالات والعلوم الباهرة، قاصدين مكة المكرمة عن طريق القاهرة، وبعد أداء النسك رجعا إلى دمشق الشام، لزيارة الصلحاء والعلماء الأعلام، وأخذ بها عن الولي الصالح الإمام حضرة مولانا الشيخ خالد المجدوي الطريقة النقتبندية (لعلها النقشبندية)، ومنها إلى بغداد وأخذ بها الطريقة العلية القادرية على السيد محمود الكيلاني ثم رجع برأ إلى الشام، وآب منها إلى بيت الله الحرام، وبعد أداء المناسك رجع من طريق البر إلى بلدته في السنة الثالثة والأربعين بعد المائتين وفي سنة ست وأربعين قام والده بأمر الجهاد فحارب معه سنتين وفي رجب سنة ثمانية وأربعين بايعه أهل الجزائر أميراً عليهم لاشتهاره بالشجاعة والعلم والبراعة، فباشرا الأعمال، وركب الأخطار والأهوال وأقام الإمارة على قدمي الفضل والعدل، وزانها بما يؤيده العقل والنقل، وضرب السكة من فضة ونحاس، وأنشأ المعامل للأسلحة واللباس. وقام بأمر الجهاد ست عشرة سنة، يحارب الدولة الفرنسية ويحمي دينه ووطنه، وأظهر من الشجاعة والبسالة والفتك في كل مجال ما اشتهر في الآفاق وقد بسطت ترجمته في كتابي المسمى بـ «تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر» وكانت الحرب بينهما سجالاتاً(*) وكان يباشر القتال بنفسه ويتقدم أصحابه في المواقف فيرجع وقد ألبسته مخرقة من الرمي بالرصاص ولم يصبه سوى جرح بكتفه وآخر بأذنه ومات تحته عدة خيول ثم هاجمته دولة مراکش من جهة أخرى وبعد محاربات عديدة علم أن التسليم أولى فسلم للدولة فرنسية على شروط مقررة وعهود وذلك في محرم سنة ألف ومئتين وأربع وستين وبقي محجوراً(**) عليه عندها. وفي سنة ست وستين حضر إلى محل إقامته بمدينة إمبواز نابليون الثالث إمبراطور فرنسا وبشره بإطلاق سبيله وأهداه سيفاً مرصعاً ورتب له في كل سنة خمسة آلاف ليرة فرنسية فتوجه إلى باريس ومنها إلى الآستانة العليا فتشرف بمقابلة ساكن الجنان مولانا السلطان الغازي عبدالمجيد خان طاب

(*) كانت في الأصل: سجال، والتصحيح من عندنا.

(**) كانت في الأصل: محجور، والتصحيح من عندنا.

ثراه فأكرم وفادته وأحسن مثواه ومنحه في بورسة داراً عظيمة ثم رجع سنة السبعين إلى الآستانة وتوجه إلى باريس ثم رجع إلى بورسة وعزم سنة إحدى وسبعين على السكن بدمشق الشام فارتحل إليها ، ثم توجه سنة ثلاث وسبعين إلى زيارة بيت المقدس والخليل وقرأ في شهر رمضان البخاري الشريف في دار الحديث والإتقان والإبريز في مدرسة الجقمقية ، واعتكف في شهر رمضان سنة خمس وسبعين بالجامع الأموي وقرأ الشفا والصحيحين في مشهد سيدنا الحسين . وفي سنة سبع وسبعين منحتة الدولة العلية النيشان المجيدي من الرتبة الأولى وأهدته أيضاً الدول الفخام نياشينها من الطبقة الأولى نظراً لما أبداه من مساعدة للمسيحيين في واقعة تلك السنة ، ثم سافر إلى حمص وحماء وزار سيدنا خالد بن الوليد ومن حل في حماه ، وفي سنة ثمانين توجه إلى مكة وأقام بها وبالطائف والمدينة المنورة سنة وستة أشهر وأخذ بمكة الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي ، وقصد الآستانة سنة اثنتين وثمانين وتشرف بمقابلة ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالعزيز خان طاب ثراه فأكرم نزله وأحسن قراه ومنحه النيشان العثماني من الرتبة الأولى ، ثم توجه منها إلى باريس فزاد له الإمبراطور على مرتبه السابق ألفين وخمسمائة ليرة إفرانساوية في كل سنة ، ودعي إلى مصر سنة ست وثمانين ليحضر احتفال خليج السويس ، وقرأ الفتوحات المكية سنة تسع وثمانين مرتين بعد أن أرسل عالمين لتصحيحها على النسخة الموجودة بخط مؤلفها الشيخ الأكبر في قونيه ، وأخذ الطريقة العلية المولوية على حضرة الدرويش صبري شيخ الطريقة المولوية بالديار الدمشقية ، وكان محافظاً على السنن عاكفاً على شهود الجماعة كثير الصدقات وكان مرتباً راتباً في كل شهر للعلماء الصلحاء والفقراء منتصباً لقضاء حوائج العباد ، عاملاً بتقوى الله في السر والجهر ، متعبداً على مذهب سيدنا مالك ، وتغلغل في آخر عمره في علوم القوم وأظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ما يؤذن بسمو مقامه ، وكان يصوم شهر رمضان على الكعك والزيب معتزلاً عن القريب والغريب وله خلوة يتحنث بها في قصر بقرية أشرفية صحنايا ، وكان مشتغلاً عن مرض وفاته بالمراقبة

والمشاهدة حتى إنه لا أنّ ولا تأوّه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه الكريم في منتصف ليلة السبت لتسع عشرة خلت من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة في قصره بقرية دمر من مرض اعتراه بالكلى والمثانة، مدة خمسة وعشرين يوماً وصلى عليه بالجامع الأموي خلق كثير، وكان له مشهد لم يعهد له نظير، واجتمع في جنازته أمم من جميع الملل ودفن ظهر يوم السبت جوار الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي الحاتمي في حجرته وتوفي عن زوجته ابنة عمه وثلاث جوار جركسيات وجارية حبشية وخلف عشرة أولاد ذكور وست بنات. وكان رحمته الله معتدل القامة عظيم الهامة، ممتلئ الجسم أبيض اللون مشرباً بحمرة أسود الشعر كث اللحية أقنى الأنف أشهل العينين يخضب بالسواد، وله من التأليفات تعليقات على حاشية جده السيد عبدالقادر بن خدة في علم الكلام، وتنبيه الغافل وذكرى العاقل، والمقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد، والمواقف في علم التصوف، وله من الشعر الرائق والنثر الفائق ما يطرب الأسماع ويستهوئ الألباب والطباع وكان يحب اللعب بالشطرنج ويحسن الخياطة سيما خياطة الشبكة. وبالجمله كان إماماً جليلاً عالماً عاملاً نبياً نبيلاً زاهداً ورعاً مهابةً شجاعاً كريماً حليماً، أوّاباً رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه، آمين.

الديوان ونشره

أ - إن أول نسخة نشرت للديوان هي النسخة التي أعدها ابن الشاعر «محمد»، والتي نشرها في دار المعارف بمصر، وعنونها بـ «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» وهي نسخة لا تحمل تاريخ نشرها، كما لا يذكر لنا معدها للنشر مصادره التي أخذ عنها شعر الأمير، إذ نجد في مقدمته التي لا تتجاوز ثلاثة عشر سطراً، بما فيها «الحمدلة» المعتادة في المقدمات التقليدية المعروفة، والتي استغرقت أربعة أسطر نجد قوله: «أما بعد فيقول المفتقر إلى رحمة مولاه الغني، محمد بن الأمير عبدالقادر الحسيني: قد سنع بفكري أن أرتب ما عثرت من كلام مَنْ في جوامع محامده ركعت غرر الشمائل، وفي محاريب معاليه سجدت جباه الفضائل، وكرع من بحر محيط الشريعة صافي الشراب، وبرع في نشر خفي الحقيقة لما عن الأغيار غاب، سيدي ومولاي ناصر الدين، الأمير عبد القادر بن محيي الدين، ولم أتعرض لذكر ماله من النظم في الحقيقة واللطائف، حيث أنه قدس سره أثبتها في كتابه المسمى بالموائق، لا زالت أحاديث فضله تروى وتسند، وآيات بره بين الملائتلى وتشهد، ماذر شارق، ولاح بارق»^(١)

ثم يبدأ في الصفحة نفسها بأول قصيدة من الديوان وهي المعنونة بـ «أبونا رسول الله» إلى آخر نص في النسخة هذه وهي المعنونة بـ «وراء الصورة» والتي نطن أن طابع النسخة نسيها واستدركها في آخرها، لأننا لا نجد في ترقيم صفحات النسخة الصفحة الثانية.

وقد تميزت نسخة «محمد بن الأمير» التي رمزنا لها في التحقيق بحرف «أ» بأنها الوحيدة التي تحمل عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر»، ويبدو العنوان

مقترحاً من لدن «محمد» نفسه ، لأنه لو وضعه الشاعر لذكر ، ولأمكن لنا الحصول على نسخة كاملة يكون قد أعدها بنفسه ، وهو ما يستشف ضمناً من رأي «محمد» الذي لم يحدث أن نسب إلى الشاعر هذا العمل ، بل ذهب إلى القول بأن ما قدمه في الديوان هو كل ما وقعت عليه يده من غير الوارد في كتاب المواقف من الأشعار ، وتلك سنتحدث عنها لاحقاً .

وكيفما كان فإن عنوان : «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» يبدو أنه لم يستحسن من أي محقق آخر ، لذلك لم يثبت في النسخ التي أخرجوها ، فهذا «حقي» يكتفي بعنوان «ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري» ، وذاك «صيام» يعتمد عنوان «حقي» نفسه ، وهو ما اعتمدناه من جهتنا مضيفين إليه كلمة الشاعر لأن عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» نراه يصلح للدراسة أكثر مما يصلح للديوان ، وبخاصة في عبارة : «نزهة الخاطر» ، التي توحى بدلالات عديدة .

فإذا تجاوزنا العنوان ، فإننا نسجل أن نسخة «محمد» هذه تخلو من كثير من شروط التحقيق ، فالهوامش فيها منعدمة إلا في حالات نادرة لا تصل عدد أصابع اليد الواحدة ، كما أن الإحالات لا وجود لها ، نهائياً والتوثيق كذلك ، فضلاً عن أنها لم تخضع لمنهج معين في ترتيب القصائد كالتبع في كل الدواوين القديمة باعتماد الحروف الهجائية ، أو المنهج الحديث الذي يعتمد فيه البعض على الأغراض الواردة في الديوان مثل ما فعل «حقي» في هذا الجانب ، وما اعتمده «صيام» بخصوص الحروف الهجائية ، وقد كان يمكن أن يعيد الترتيب الذي اعتمده «محمد» إلى تاريخ نظم القصائد ، ولكنها تخلو من ذلك كلياً ، ومع ذلك فإن فضل الأمير «محمد» ، يبقى واضحاً على كل من حاول تحقيق الديوان بعده لأنهم جميعاً استفادوا من عمله ، فاعتمدوه أصلاً في واقع الأمر ، كما فعل ذلك «حقي» ثم «صيام» من بعد مع اختلاف بين المحققين في نقطة واحدة هي استبعاد «حقي» لأشعار «المواقف» ، في تحقيقه ، كما فعل «الأمير محمد» ، وإثبات «صيام» لها في نسخته كبقية أشعار الديوان الأخرى .

كما لا نجد عناوين قصائد الشاعر في هذه النسخة، مثل تلك التي تميزت بها نسخة «حقي» وإنما نجد قبل كل قصيدة أقوالاً مثل: «وقال قدس الله سره، وعمّنا فيضه وبره»، و«قال طيّب الله ثراه في ابتداء إمارته»، و«قال رضي الله عنه حين استلم مدينة تلمسان من الفرنسيين»، وهكذا مع بقية القصائد، في كامل الديوان الذي يخلو من كل الفهارس العلمية، بما فيها فهرس الموضوعات أو القصائد في حين أثبت في نهايته جدولاً بالأخطاء المطبعية التي وردت فيه.

ب- نسخة الدكتور ممدوح حقي:

تعد نسخة الدكتور «ممدوح حقي» النسخة الثانية التي قدمت للقارئ العربي في حدود ما نملك حتى الآن من المعلومات، وهي نسخة من الحجم الكبير، بالقياس إلى نسختي «الأمير محمد» ونسخة «صيام»، مؤلفة من أربع وأربعين ومائتي صفحة (٢٤٤)، بلغ المعدل المتوسط للأسطر في صفحاتها بين عشرة، واثنى عشر سطرًا (١٠/١٢)، طبعت مرتين، الأولى لا يذكر المحقق تاريخها في مقدمتها، ويبدو أنها كانت في ظل الثورة التحريرية الجزائرية المباركة، والثانية بعد استقلالها سنة ١٩٦٤، بحسب ما ثبت على الغلاف، وقد عنوان الديوان بـ «ديوان الأمير عبد القادر» موضحاً العنوان بعبارة «شرح وتحقيق» تلا الغلافين الخارجي والداخلي إهداءه الكتاب كما أسماه ونصه «إلى الجزائر العربية المجاهدة وأبطالها الميامين، وروح الأمير الشاعر عبد القادر باني شخصية الجزائر الدولية، ومعيدها إلى عروبته الصافية» ثم مقدمة الطبعة الأولى التي شغلت صفحات (٧ إلى ١٧)، فمقدمة الطبعة الثانية والتي اكتفى فيها بصفحة واحدة وفي المقدمة الأولى ذكر بعض النقاط والمحطات عن حياة الأمير عبد القادر، كما أشار إلى تجاوزه أشعاره في المواقف، والتي رأى أنها «خليط عجيب من قوله وقول سواه» وباختصار بخصوص شعر الأمير فإنه وبعد أن ذكر بأن الأمير كان يعتقد أن الشعر من ممتّات الفخر، والزينة، قال عن ديوانه:

«وديوانه الذي بين أيدينا - على ما يبدو لي - جزء قليل مما نظمه ، جمعه قبلي ولده محمد باشا ، وأشار إلى أنه ضرب صفحاً عما قاله في «الحقيقة واللطائف» ، وهو يعني بالحقيقة ما وراء الشريعة من التصوف الرمزي ، وإني لأعرف له كثيراً من هذا النوع يتناشده رجال الطرق في أذكارهم ، على أنني وإن كنت قليل الشك في نسبته إليه ، فلا ريب عندي في أنه أصبح خليطاً عجيباً من قوله وقول سواه من الدخلاء على هذا الفن ، ومزيجاً غريباً من أقوال متفاوتة الدرجات ، وأكثره محطم الوزن ، مضطرب المعنى ، يشق تخليص بعضه من بعض ، وليس من وراء ذلك جدوى فنية ذات قيمة ، والذي بين أيدينا فيه الكفاية ، ليدل على مستواه في الشعر ، وعلى الفنون التي تعاطاها ، ومنزلته بين شعراء عصره ، وأسلوبه وقدرته . . وهو - على العموم - آخر حلقات الشعر المتحدر من القرون الوسطى بكل ما فيه من مزايا وعيوب ، وهو إلى النظم أقرب منه إلى الشعر . . . »^(٧)

فحقي بموقفه هذا من شعر الأمير حدد قصده من إصدار الديوان ، فهو لم يبحث عن شعر الأمير كله ، كما لم يسع إلى تحقيقه ، وتوثيقه بالعودة إلى المصادر التي يمكن أن يستدرك بعضه عن غيره ، وبخاصة نسخة «الأمير محمد» ويقارن بين ما في نسخة «الأمير محمد» ، وتلك المصادر والمراجع ، إذ المستشف من كلامه أنه أراد الوصول بالديوان الذي أعده إلى إعطاء صورة عن شعر الأمير من زوايا تمثيل شخصية الأمير ، وعصره ، ومستواه الفني ، أما وقد تحقق له ذاك من المادة الشعرية التي اكتفى بها في الديوان ، فقد استبعد شعر «المواقف» كله ما عدا قصيدة «أستاذي الصوفي» التي أثبتتها كذلك الأمير محمد في الديوان ، ونجدها في «المواقف» أيضاً .

أما ما ذهب إليه من بعض الشك في شعر «المواقف» على أنه ليس للأمير ، فإن ذلك النزر من الظن عنده قد يعني بعض ما يمكن أن يضاف ، أو يدس في ثنايا القصائد ليس إلا ، لأن شعر «المواقف» ورد في مظانه كما أراد الأمير عبد القادر نفسه ذلك ، كونه المثبت له ، والمرتب إياه في الكتاب .

فإذا تجاوزنا المقدمتين وجدنا شعر الشاعر قد اعتمد «حقى» في ترتيبه على أغراضه فجاء وفق هذا التسلسل : «الفخر» ، من (ص ٢١ إلى ص ٥٠) و«الغزل» من (ص ٥١ إلى ص ٧٨) ، و«مساجلات» من (ص ٧٩ إلى ص ١١٨) ، و«مناسبات» من (ص ١١٩ إلى ص ١٨٠) ، و«تصوف» من (ص ١٨١ إلى ص ٢١٤) ، وهو ترتيب تبنى فيه منهجاً يعتمد الموضوعات أساساً لترتيبه وهو ما تبيحه المناهج الحديثة وتقره ، فضلاً عن ذلك ، فإن ترتيب الموضوعات التي نجدها في حد ذاتها بهذه الكيفية ترتيب معلل ، فالفخر مثلاً الذي ابتداء به هو من الموضوعات التي نجدها حاضرة بكثافة في تعبير الشعوب في مرحلتها الطفولية ، بل وحتى البدائية ، إلى جانب كون صاحب الديوان «الأمير عبدالقادر» مارس التجربة الشعرية في هذا الغرض ، عملياً في مرحلة جهاده الطويلة ، وعلى العموم فإن نسخة «حقى» يلاحظ عليها الآتي :

- ١ - عنونته جميع قصائد الديوان .
- ٢ - كما في نسخة «الأمير محمد» نجد فيها أشعار الشعراء الذين عارضهم الشاعر أو ساجلهم وعددهم ثمانية ، والاكتفاء أحياناً بأبيات منها فقط ، ونجد ذلك في الصفحات ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ١٠١، ١٠١، ١٠٦، ١١٨، ١٧٤ .
- ٣ - توظيفه الهامش توظيفاً محدوداً لم يتجاوز بعض الشروح اللغوية ، أو الملاحظات النحوية ، والعروضية .
- ٤ - الإسهاب في التعليق على بعض القصائد .
- ٥ - عدم استعمال فهرس ، عدا فهرس الموضوعات .
- ٦ - عدم تحديد بحور القصائد ، مع بدئها ، أو حتى في فهرسة الديوان .
- ٧ - لا وجود لقائمة المصادر والمراجع .
- ٨ - عدم توثيق كل النصوص التي ذكرها لغير الشاعر ، كما لم يخرج الآيات القرآنية الكريمة ويحققها في الهوامش .

٩ - شكل القصائد محدود جداً نراه لا يفي بالغرض ، ومع ذلك فقد تميزت به النسخة دون نسختي «الأمير محمد» و«صيام» .

إن الملاحظات السابقة التي يستحسن أن تصحب أي تحقيق كان ، والتي تضاف إلى إغفال بعض شعر الشاعر ، كالقصائد التي وردت في «المواقف» ، وفي «مذكراته» أبقت عمل «حقي» مفتوحاً على الاستدراك والإضافة وتوحي كذلك بأن عبارة «تحقيق» التي تصدرت مع العنوان غلاف الديوان لم يتمثلها كما ينبغي ، ومع ذلك فإن جهد المحقق بدا واضحاً في عمله ، وأنه أعطى ما يمكن في ضوء المادة المتوفرة لديه آنذاك ، والمناهج البارزة حينئذ ، وكون نسخة «حقي» امتازت عن نسخة «الأمير محمد» بعنوان القصائد ، وترتيبها بحسب الأغراض ، وكانت قناعتنا متوافقة مع قناعته ، فقد اعتمدنا نسخته أصلاً في الجانبين معاً مع تعديلات وإضافات سنوّه إليها لاحقاً عند توضيح ما أنجزناه وبما أشرنا إليه في الهوامش كذلك .

ج - نسخة «زكريا صيام» :

هذه هي الإصدار الثالث للديوان ، أو هي النسخة الثالثة التي وصلنا إليها ، وهي بعنوان «ديوان الأمير عبد القادر الجزائري تحقيق وشرح وتعليق» ، صدرت عن «ديوان المطبوعات الجامعية» ، الجزائر سنة ١٩٨٨ ، بحجم متوسط بلغت صفحاته أربعين وثلاثمائة صفحة ، قدم للديوان الدكتور «إبراهيم السعدي» في ثلاث صفحات من (ص ٧ إلى ص ٩) تلت ذاك ترجمة الشاعر الأمير عبد القادر من (ص ٣ إلى ص ٥٦) تخللتها صور للأمير في الصفحات : (١٧ ، ٢١ ، ٢٥) ولوحة رخامية تؤرخ معاهدة «تافنا» الشهيرة في (ص ٣٥) ثم صورة الأمير مجدداً في (ص ٣٩) مذيلة بختمه الرسمي ، وهي غير واضحة نسبياً ، كما نجد صورة الأمير وأفراداً من رجاله محاطين ببعض الفرنسيين في «أمبواز» السجن الذي سجن فيه بفرنسا ، وصوراً أخرى للأمير

كذلك في صفحتي (٤٧، ٥٣) ومن (ص ٥٩ الى ٩٠) تقرأ ماكتبه المحقق عن شعر الأمير، بحيث بدأ موضوعاته معتمداً فيها على ما أثبتته «حقي» رافضاً بعض العناوين التي اقترحها «حقي» لأنه يرى أنها لا تنسجم مع اتجاه الأمير الصوفي كعنوان «وليمة الله»، كما تحدث عن بنوية شعر الأمير كما أسماها بشيء من الإيجاز فتناول المعجم بخاصة من (ص ٧٢ إلى ص ٩٠) وقد انتهى بخصوص هذه النقطة إلى القول في خلاصة مؤداها «وبعد فإن معالم شعر الأمير البنيوية، تجاوزت حدود عصره، إلى ماسبقه بقرون عديدة، واشترأت إلى مشارف العصر الحديث ولو أمكنه التفصي من قيود عصره، التي أثقلت كاهل شعره لاقترب من خط محمود سامي البارودي الذي جمع بينه وبين الأمير مقومات متعددة الجوانب (كذا) تستحق الدرس من الباحثين»^(٣).

ثم يبدأ الديوان بـ «الهمزة» من (ص ٩٣، إلى ص ٣٢٠)، لتأتي بعد ذلك فهارس «الأعلام» و«الأمكن» و«القصائد والأبيات» كما أسماها فالفهرس العام. إن «صيام» خلاف «حقي» حاول اعتماد طريقة من طرق التحقيق فتميز عمله بالخصائص الآتية:

١ - حاول الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع في عمله، فاستحضر نسخة «الأمير محمد»، و«تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر»، للأمير «محمد بن عبدالقادر الجزائري» كذلك شرح وتعليق الدكتور «ممدوح حقي» كما رجع إلى نسخة الديوان لـ «ممدوح حقي»، لكنه خالف «الأمير محمد»، و«حقي» في ترتيب أشعار الديوان بترتيبه إياه ترتيباً هجائياً.

٢ - أسقط كل عناوين القصائد التي اقترحها «حقي» في نسخته.

٣ - اعتمد مخالفة كل ما استطاع مخالفته فيما ورد من شروح، وتعليقات، في نسخة «حقي»، وكأنني به أراد إبطال جهد الرجل إبطالاً كلياً لدواع لا أدري أسبابها، وربما كانت فكرة «خالف تعرف» هي التي تحكممت في عمله.

٤ - لم يعوض عناوين «حقي» بأخرى ينتقيها من مضمون الأشعار، أو من معانيها، وكان مثل «الأمير محمد» يصدر قصائد الشاعر بمثل قوله: «وقال الأمير» و«وقال في التصوف»، و«وأنشد» و«ومما أنشده في ذلك القصر قوله»، و«ونظم المقطوعات...»، ما يعني أنه لم يعتمد أسلوباً واحداً بحسب المعتاد وعند بعض القدماء، وما تراه اتجاهات النقد في المناهج الحديثة.

٥ - عدم الدقة في تحديد الصفحات التي أخذ منها مثلاً ذكره (ص ٦٤٠) في التحفة، والصحيح أن ما يعنيه موجود في الصفحة (٦٣٩) والأمر متكرر معه في أكثر من موقع كصفحة (٤٥٩)، و(٧٠٢)، وإغفال أرقام الصفحات أحياناً إغفالاً كلياً، كما ورد في صفحة (١٠٩)، حين أحال على «التحفة» دون تحديد الصفحة التي نجد فيها ما أخذ منها.

٦ - الإسهاب في الشروح والتعليقات والمقدمات التي يصدر بها النص كما في صفحة (٢١٥)، مثلاً حيث قدم لمقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات بخمسة أسطر كاملة.

٧ - الأخطاء العلمية، والتي نذكر منها على سبيل المثال عدم مراعاة السياق الذي يكون الشاعر في منحاها، والأخذ على الشاعر تصريح ما لا ينصرف، وهو ما يتاح للشاعر، ويباح له فيما يعرف بـ «الضرورات الشعرية»، ومثاله في الصفحة (٩٦)، وصفحة (١٠٠) حين جمع الشاعر «مفازات» بعد «كم».

٨ - عدم تخريج الآيات القرآنية وتوثيقها بتحديد مظاهرها في سور القرآن الكريم، وهذا في كامل الديوان.

٩ - عدم الدقة في إرجاع الاختلافات بين النسخ إلى مواطنها الحقيقية، فقد ذكر في صفحة (١٤٢)، أن عبارة «ثمرت» وردت هكذا في «التحفة» وفي نسخة «الأمير محمد»، والصحيح أن العبارة في نسخة الأمير وردت «أثمرت» وليس «ثمرت».

١٠ - إغفال الإشارات أحياناً إلى الخلافات الموجودة بين النسخ التي اعتمدها في تحقيقه ، كما في صفحة (٢٢٠) حين لم يشر إلى الخلاف الموجود بين ما اعتمده ، وما في نسخة «الأمير محمد» ، وكذلك في الصفحة (٢٩٣) .

١١ - التعسف أحياناً في أحكامه النقدية ، على بعض الصيغ والتعابير ، ومن ذلك ما علق به على قول الأمير «بل قد أفاض مدامعي» ، حيث علق قائلاً : «يلاحظ تنافر الحروف في تعبيره» .

١٢ - تخطئة الشاعر فيما لم يخطئ فيه للتسرع ، أو لقلة الدراية ، إذ نجده قد حكم على روي قصيدة الشاعر التي مطلعها :

«يا سواد العين يا روح الجسد»

يا ربيع القلب! يا نعم السند»

حكم على رويها بوجود «إقواء» فيها بكثرة لاعتقاده أن قافيتها مطلقة ، والصحيح أن القصيدة من «الرمل» ، وقافيتها مقيدة مما يبرئ الشاعر من الوقوع في الإقواء في قافيتها تماماً .

١٣ - عده زيادة بعض الحروف لدى الشاعر ترفاً في التعبير ، ولا داعي لها كما في قول الشاعر في شطر البيت «أما أن للخل المريض بأن ييرا» حيث ، عد حرف «الباء» زائداً في قوله «بأن» ، والشر كما نرى من «الطويل» ووجود الباء هنا ضرورة لحفظ الوزن من الاضطراب والانكسار ، وهو مباح للشاعر .

١٤ - تصحيح بعض العبارات في المتن دون ذكر ذلك في الهامش ، ففي بيت الشاعر :

«تكاد لذكراهم تذوب حشاشستي

ومالي سواهم من ولي ولا خال»

صحح ذكراهم ، ولم يشر إلى ذلك في الهامش .

١٥ - عدم إعطائه أي معلومة من المعلومات عن مصادره ، ومراجعته في التحقيق بحيث اكتفى بذكر عناوينها ونادراً ما يذكر اسم مؤلفها كلما رجع إلى أي منها ، الأمر الذي جعلنا لا نعرف المعلومات اللازمة عنها فنراعيها في أثناء العودة إليها للاستفادة منها بشكل من الأشكال ، ولأي غاية من الغايات الساعي إلى تحقيقها ، والأبعد من هذا أنه لم يثبت قائمتها في آخر مؤلفه بحسب ما تقتضيه المناهج العلمية الحديثة .

١٦ - وخلاف جهد «حقي» بخصوص شكل ما يرى ضرورة شكله في الديوان فإن «صيام» لم يشكل أي حرف في الديوان نهائياً ، ولا ندري ما سبب ذاك التقصير غير المستساغ كلياً في تحقيق تراثنا العربي .

١٧ - إسرافه في الهوامش وفي الشرح اللغوي للمفردات إسرافاً مخرلاً حتى حول الديوان إلى شبه معجم لغوي ، واقتناصه للفرص السانحة ، والافتعال أحياناً أخرى من أجل الرد على «حقي» بالمناسبة وغير المناسبة ، ما يصرف القارئ عن شعر الأمير ويشغله بتلك الشروح ، والمعروف أن الهوامش ينبغي أن يتعامل معها بذكاء ومهارة ودقة حتى لا تغطي على المتن ، فتصير هي نفسها متناً آخر على كاهل المتن الأصلي .

د - منتخبات «محمد ناصر» :

هذه مجموعة من قصائد الأمير بلغ عددها (١٨) قصيدة اختارها الدكتور محمد ناصر من ديوان الأمير عبدالقادر ، وقدمها لطلاب الثانويات ، طبعت في المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة ١٩٨٤ ، اعتمد فيها على نسختي «الأمير محمد» و«ممدوح حقي» ، كما اعتمد على دراسة الأستاذ «عبدالوهاب بن منصور» ، في بعض الملاحظات والمعلومات التي قدمها عن الشاعر وشعره ، فالكتيب إذن أعد لغاية

محددة، وغرض معين لذلك ركز فيه المؤلف على الانتقاء، وشرح بعض المفردات، وتقديم ترجمة موجزة عن الشاعر دون الاهتمام بالجوانب العلمية الأخرى، ومع ذلك فإن المؤلف انفرد عن غيره ممن ذكرنا بإثباته قائمة المصادر والمراجع التي أخذ عنها في مؤلفه ذاك. وكون «المنتخبات» مع عدد نصوصها الضئيل بالقياس إلى ديوان الأمير فإننا لم نهملها في عملنا حتى تقترب من كل ما نشر من شعر الشاعر، إن لم نخط به كله، وقد رمزنا لمنتخبات «ناصر»، بحرف «ن».

هـ - الملحقان:

كما تبين فإن ديوان «الأمير عبدالقادر» الذي أصدره ولده «محمد»، والذي حذا حذوه فيه «ممدوح حقي» لم يضم كل شعر الأمير، بحيث استبعد عنه شعره الذي في «المواقف»، أما «صيام» فقد حاول استدراك ذلك، وأثبت ما وصل إليه من شعره في «المواقف»، ومع ذلك فقد فاتته بعض النصوص، كما سيلاحظ ذلك في مظانه في الديوان أو في الملحقين معا.

ولما كان المؤلف في التحقيق هو اعتماد أكثر من نسخة عندما تكون موجودة، وكان الأمر هذا منسحباً هنا على ديوان الأمير، فإنني - وكوني - لم أجد نسخاً أخرى لشعر الأمير في «المواقف» وفي غيرها فقد فضلت أن أبقى الديوان كما عده ابنه، ومن سار على نحوه، وأن ألحقه بملحقين: الأول وخصصته لشعره الذي أثبتته الأمير بنفسه في المواقف، كما قيل، وربما لذلك فضل ابنه إبقاءه هناك على دمجها في الديوان، والثاني وخصصته لقصيدتين وردتا في مذكراته، كتبهما عن مدينتين فرنسيتين، ولأول مرة يشار إليهما في ديوانه الذي يكون جمع فيه كل شعره المتوصل إليه الآن.

وبالملحقين الموضحين آنفاً يمكن لنا القول: إن جهدنا قد سعى إلى جمع شعر الأمير في دفتي ديوان واحد، وحاول في ظروف محددة زمنياً أن يستدرك ما فات من

سبقنا، وأن يعرض صور كل المحققين السابقين مسقطاً بعض ما رآه زائداً، علمياً بحسب قناعتنا، مبعداً كل الأشعار التي كانت مثبتة في النسخ السابقة على أساس أنها وجهت للأمير مشيراً إلى أصحابها، وإلى مطالعها في الهوامش ومواطن وجودها لتخصيص الديوان لشعر صاحبه ليس إلا، وإثبات مواطنها للعودة إليها لمن أراد ذلك. إلى غير هذا مما ألمعنا إليه في المقدمة، أو في الصفحات هذه الخاصة بنسخ الديوان، وفي الهوامش والإحالات.

ويبقى جهدنا أبداً، جهداً بشرياً فيه من التوفيق ما فيه، ومن الضعف والخطأ ما فيه، وسنكون ممنونين لكل من يهدي إلينا أخطاءنا لنستدركها إن وفقنا الله إلى ذلك في حين آخر إن شاء الله.

إحالات:

- (١) محمد (الأمير) بن عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، دار المعارف، مصر، بلا تاريخ، ص ١.
- (٢) د. ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتعليق، دار اليقظة العربية، بيروت، ط٢ ١٩٦٤، ص: ١٤، ١٥، ١٦.
- (٣) د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨، ص: ٩٠.

جدول الرموز المستعملة في التحقيق

«أ» نسخة الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر.

«ب» نسخة تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، والأمير عبد القادر.

«ج» نسخة الدكتور زكريا صيام.

«د» نسخة منتخبات الدكتور محمد ناصر.

«هـ» كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري.

«و» نسخة الدكتور ممدوح حقي، وهي التي اعتمدها أصلاً
في التحقيق كما ذكر ذلك في موطئه

«ز» المراجع.

أ- الفخر

وراء الصورة (*)

[من الطويل]

لئن كَانَ هذا الرِسْمُ يعطيك ظاهري
فليس يُريك الرِسْمُ صورَتَنَا العَظْمَى^(١)
فَئِمْ، وراءَ الرِسْمِ، شَخْصٌ مَحْجُوبٌ
له هِمَّةٌ، تَعْلُو بِأَخْمَصِهَا النُّجُومَا
وَمَا المرءُ بالوجهِ الصَّبِيحِ افْتِخَارُهُ
ولكنه بالعقلِ، والخُلُقِ الأَسْمَى
وإنْ جُمِعَتِ للمرءِ هَذِي وهَذِهِ
فذاك الذي لَا يُبْتَغَى بَعْدَهُ نُعْمَى

(*) كان من عادة الأمير الشاعر أن يكتب هذه الأبيات تحت صورته أو خلفها لمن يهديها له.

(١) الأبيات في "ص"، ص: ٢٨٨ - ٢٨٣ وفي "أ"، ص: ٥٣

أبونا رسول الله(*)

[من الطويل]

أبونا رسول الله، خير الورى طرّا
فمَنّ في الورى يبغى يطاولنا قَدْرًا^(١)
ولانا غدا دينًا وفرضًا محتَمًا
على كل ذي لبٍّ به يامن الغَدْرًا^(٢)
وحسبي بهذا الفخر من كل منصبٍ
وعن رتبة تسمو.. وبيضاء أو صفراء^(٣)
بعثائنا يعلو الفخار وإن يكن
به قد سما قومٌ، ونالوا به نصرا
وبالله اضحى عزنا وجمالنا
بتقوى وعلم والتزود للأخـرى^(٤)
ومن رام إذلالنا، قلتُ: حَسْبُنَا
إله الورى، والجَدُّ.. أنعم به ذخرا^(٥)

(*) المقطوعة في "ص" ص: ١٦٣، و "ن" ص: ٣٢.

(١) يعتز، ويفتخر باصله المنحدر من الاسرة النبوية الشريفة.

(٢) ولانا: ولأؤنا وفي "ن" يامن الكفرا وكذلك في "ل".

(٣) اراد بالأبيض والأصفر الفضة والذهب.

(٤) في البيت معنى الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة: ١٩٧.

(٥) في "ن" انعم بذا. وايضا في "ل".

بنا افتخر الزمان^(*)

[من الوافر]

لنا في كل مكرمة مجـال
 ومن فوق السَّمَاء لنا رجا^(١)
 ركبنا للمكارم كل هـول
 وخضنا أبحرًا ولها رجا^(٢)
 إذا عنهما توائى الغير عجزًا
 فنحن الراحلون لها العجا^(٣)
 سوانا ليس بالمقصود لنا
 ينادي المستغيث: ألا تعالوا !!
 ولفظ الناس ليس له مُستغنى
 سوانا والمنى مِننا يُنال
 لنا الفخر العميمُ بكل عصر
 ومصر... هل بهذا ما يقال^(٤)
 رفعنا ثوبنا عن كل لوم
 وأقوالٍ تصدّقها أفعال^(٤)
 ولو ندري بماء المزن يزري
 لكان لنا على الظم احتمال !!

(*) القصيدة في ١، ص: ٨٦٧ و ٢، ص: ٤٦٠، ٤٦١ و ٣، ص: ٢٥٧، ٢٦٠، و ٤، ص: ٢٨، ٢٩ .

(١) السَّمَاء: أحد السماكين: الأعزل والرامي، وهما كوكبان نيران، ضرب الشاعر مثلاً بالسماك في علو المكانة، وسمو الشخصية (م).

(٢) في كتب اللغة: الرُّجُل الجلبة، والرُّجُلَة صوت الناس وجماعتهم ولم ترد (الرُّجَال) فكان الشاعر وضعها في مكان الرُّجُل تجاوزاً. (م).

(٣) في ٢: عجال، والعجال جمع العجلان: الأسرع والتعريف هو الأصح نحويًا، وكذلك في ٣.

(٤) في ٢: فاقوالي.

ذُرَّا ذَا الْمَجْدِ - حَقًّا - قَدْ تَعَالَتْ
 وَصِدْقًا قَدْ تَطَاوَلَ، لَا يُطَالُ^(١)
 فَلَا جَزَعٌ وَلَا هَلَعٌ مَشِينٌ
 وَمِنَّا الْغَدْرُ أَوْ كَذِبٌ مُحَالُ^(٢)
 وَنَحْنُ إِنْ جَنَى السُّفَهَاءُ يَوْمًا
 وَمِنْ قَبْلِ السُّوَالِ، لَنَا نَوَالُ^(٣)
 وَرَثْنَا سُوْدُودًا لِلْعُرَبِ يَبْقَى
 وَمَا تَبَقَّى السَّمَاءُ وَلَا الْجِبَالُ
 فَبِالْجَدِّ الْقَدِيمِ عِلَتْ قَرِيشُ
 وَمِنَّا فَوْقَ ذَا طَابَتْ فَعَالُ
 وَكَانَ لَنَا - دَوَامَ الدَّهْرِ - ذِكْرُ
 بِذَا نَطَقَ الْكِتَابُ وَلَا يَزَالُ^(٤)
 وَمِنَّا لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ صَرَرٍ
 رَجَالٌ لِلرَّجَالِ هُمْ الرِّجَالُ
 لَقَدْ شَادُوا الْمُؤَسَّسَ مِنْ قَدِيمٍ
 بِهِمْ تَرْقَى الْمَكَارِمُ وَالْخِصَالُ
 لَهُمْ هِمَمٌ سَمَتْ فَوْقَ الثُّرَيَّا
 حَمَامَةُ الدِّينِ، دَابَهُمُ النُّضَالُ
 لَهُمْ لِسْنُ الْعُلُومِ، لَهَا احْتِجَاجُ
 وَبَيْضُ، مَا يَثْلُمُهَا النِّزَالُ

(١) في "ت" قد تعالى.

(٢) كذا يعطف النكرة على المعرفة (م).

(٣) في "ت": السفهاء حقاً. وكذلك في "ن"

(٤) استأنس بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
 الأحزاب : ٥٦ .

سلّوا، تخبركمُ عنا فرنسا
ويصدقُ إن حكّت منها المقال^(١)
فكم لي فيهم من يوم حروب
به افترّخر الزمان، ولا يزالُ

(١) في "ت" سلّوا عنا فرنسا تخبركم. و: إذ حكّت.

لبيك تلمسان (*)

[من الطويل]

إلى الصنون مَدَّتْ تلمسانُ يداها
ولَبَّتْ فـهـذا حـسـنُ صـوتِ نـداها
وقد رَفَعَتْ عَنْهَا الإِزَارَ، فـلـجَ بِهِ
وَبَرَّدَتْ فـقـدْ وَأَدَا، مـن زَلالِ نـداها
وذا روضُ خـدَّيْها، تـفـتـقُ نُورُهُ
فـلا تـرضَ مـن زاهي الرِياضِ عـداها
ويَاطِئُما عـانَتِ نـقـابَ جـمـالِها
عـداةٌ وَهـمٌ - بـين الأَنامِ - عـداها^(١)
وكم رائمٌ رَامَ الجـمـالَ الَّذي تـرى
فـارِداً مـنـها : لـحـظَها، ومُنـاها^(٢)
وَحـاولَ لَئـمَ الخـالِ مـن وَرْدِ خـداها
فـضـنَّتْ بـما يـبـسـغي، وشَطَطَ مَداها
وكم خـاطِبٍ، لـم يـدْعَ كـفـئاً لـها، ولـم
يـشـم طـرـفـاً، مـن وشي ذيلِ رداها^(٣)
وأخـرُ لـم يـعـقـدُ عـلـيـها بـعـصـمةً
ومـا مـسَّها مـساً أبـانَ رِضاها

(*) القصيدة في "أ"، ص: ٦، ٥ و "ت"، ص: ٢٨٦، ٢٨٧ و "ص"، ص: ٣١١، ٣١٤ وفي "ت" وردت القصيدة منسوبة كلها إلى الشاعر، بينما في "أ" تتوقف عند البيت «وأخر لم يعقد...»، ونسبت بقية القصيدة إلى «قدور بن محمد بن رويلة»، الذي اكملها على الصورة التي هي عليها بدعوى أن الأمير لم يتمكن من ذلك، فطلب من كاتبه إكمالها، لكن روح القصيدة يبقى متجانساً فلا يحسننا بذلك. [وانظر تعليق د. صيام على هذا الموضوع] (م).

واضطر الشاعر إلى نقل حركة اللام إلى الميم من تلمسان لمناسبة الشعر. تنظر ترجمة تلمسان في: معجم البلدان والروض المعطار (م).

(١) في "أ" صانت، وإيضاً في "ت".

(٢) في "أ" ومداها، كذلك في "ت".

(٣) شام: يريد نظر (م).

ولم تسمع العذرا إليه يعطفة
ولم يتمكن من جميل سناها
وشدت نطاق الصد صونا لحسنها
فلم يتمكن من لذيل لهاها
وابدت له مكرًا وصدًا وجفوة
وسدت عليه ما نوى بنواها
وحابت ظنون المفسدين بسعيهم
ولم تنل الأعدا هناك منهاها
قد انقصمت من تلمسان حبالتها
وبانت والت لا يحل عُراهاها
سوى صاحب الإقدام في الرأي والوعى
وذي الغيرة الحامي الغداة حماها^(١)
ولما علمت الصدق منها بانها
انالتني الكرسي، وخزت علاها^(٢)
ولم اعلمن في القطر غيري كافلاً
ولا عارفاً في حقها وبهاها
قبادرت حزمًا وانتصارًا بهمتي
وامهرت لها حباً فكان دواها^(٣)
فكنت لها بعلاً وكانت خليلتي
وعرسي، وملكي، ناشراً للواها^(٤)
ووشئت لها ثوباً من العر رافلاً
فقامت بإعجاب، تجر رداها

(١) في "أ" حماة.

(٢) في "أ" وجدت.

(٣) في "أ" و "ت" حب شفاء.

(٤) العرس - بكسر العين - الزوجة (م).

ونادتْ اغْبِـدَ القادرِ المنقذَ الذي
اغثتْ أناساً من بحورِ هواها (١)
لأنك أعطيتْ المفـاتيحَ عُـنـوَةً
فَرَدَدَني أيا عـزِّ الجزائرِ جـاها
ووهـرَـانَ، والمرساةُ كـلاً بما حـوَتْ
غدتْ حائزاتٍ من حماك، منها (٢)

(١) في "أ" بحار.

(٢) في "أ" بمن حوت. ووهـرَـانَ مدينة تقع في غرب الجزائر وهي العاصمة الثانية بعد الجزائر العاصمة، والمرساة يريد مرسى وهران التي كانت مستهدفة في العصر الوسيط والحديث من قبل الغزاة الإسبانين وغيرهم.

بي يحتمي جيشي(*)

[من الطويل]

تسائلني أم البنين، وإنهها
لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألم تعلمي يا ربة الخضر أنني
أجلّي هموم القوم، في يوم تَجْوالِي !!
واغشني مضيق الموت لا متهيأ
وأحتمي نساء الحي، في يوم تَهْوال^(١)
يثقن النساء بي حيثما كنت حاضراً
ولا تثقن في زوجها ذات خلخال^(٢)
أمير إذا ما كان جيشي مقرباً
وموقد نار الحرب إذ لم يكن صالي
إذا ما القيت الخيل، إنني لأول
وإن جال أصحابي فإني لها ثال
أدافع عنهم ما يخافون من ردي
فيشكر كل الخلق من حسن أفعالي
وأورد رايات الطعان صيحة
وأصدرها بالرمي تمثال غريال^(٣)
ومن عادة السادات بالجيش تحتمي
وبي يحتمي جيشي وتُخرس أبطالي

(*) القصيدة في ٦٠، ص: ١١، ١٢ ص: ٢٦٦، ٢٦٩، ن، ص: ٣٠، ٣١.

(١) التهوال، والجمع تهاويل، ما يهول الإنسان ويحيره (م).

(٢) قوله: «يثقن النساء» على لغة ضعيفة. (م).

(٣) في ٦٠ آيات.

وبي تَتَّقِي يومَ الطَّعْمانِ قِوَارِسُ
 تَخَالِيئُهُمْ فِي الحَرْبِ أَمْثالَ أَشْجالِ
 إِذَا مَا اشْتَكَّتْ خَيْلي الجِراحُ تَحْمَحِمًا
 أَقُولُ لَهَا : صَبْرًا كَصَبْرِي وإِجمالي^(١)
 وَأَبْذُلُ يومَ الرُّوعِ نَفْسًا كَرِيمَةً
 عَلَي أَنهَسا فِي السِّلْمِ أَغْلَى مِنَ الغَالِي
 وَعَنِّي سَلِي جَيْشُ الفَرَنْسِيْسِ تَعْلَمِي
 بَأَنْ مَنَائِيَاهُمْ بِسَيْفِي وَعَسَّالِي^(٢)
 سَلِي اللّيلِ عَنِّي، كَمْ شَقَقْتُ أَدِيمَةً
 عَلَي ضَامِرِ الجَنْبَيْنِ، مَعْتَدِلِ عَالِ
 سَلِي البَيْدِ عَنِّي والمِفاوِزِ والرُّبَا
 وَسَهْلًا وَحَزْنًا، كَمْ طَوَيْتُ بِتَرْحَالِي
 فَمَا هُمُوتِي إِلَّا مَقَارِعَةُ العَدَا
 وَهَزْمِي أَبْطالًا شَدِيدًا بِأَبْطَالِي^(٣)
 فَلَا تَهْزُئِي بِي وَاعْلَمِي أَنِّي الَّذِي
 أَهَابُ، وَلَوْ أَصْبَحْتُ تَحْتَ الثَّرَى بِأَلِي

- (١) فِي "أ" تَشْكِي، وَالْبَيْتُ عَلَى صِلَةِ بِقَوْلِ عَنقَرَةِ الْعَبْسِيِّ:
 تَفْـازِدُ مِنْ رَقْعِ القِنَا بِلَبْسَانِهِ
 وَشَكَا إِلَي بِعَسْبِـرَةٍ وَتَحْمَحِمُ
- (٢) فِي "أ" سَلِي عَنِّي، وَالْبَيْتُ اسْتَوْحَى فِيهِ قَوْلُ عَنقَرَةِ أَيْضًا:
 تَمَلَّا سَمَّاتِ الخَيْـسِرِ يَا ابْنَةَ مَمَالِكِ
 إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
 يَخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الرُّقَيْعَةِ أَنَّنِي
 أَغْشَى السُّوْغَى وَأَعْفَى عِنْدَ المَغْنَمِ.
- وَالْعَسَّالُ هُوَ الرَّمَحُ، وَ: عَسَلَ الرَّمَحُ: اشْتَدَّ اهْتِزَازُهُ وَاضْطَرَبَ (م).
 (٣) فِي "أ" لِأَبْطَالِ.

ما في البداوة عيب (*)

[من البسيط]

يا عاذراً لامرئٍ قد هَامَ في الحضرِ
وعاذلاً لمحِبِّ البدو والقفر^(١)
لا تذممنُ بيوتاً خفَّ مَحْمُلُهَا
وتمدحنُ بيوتَ الطينِ والحجرِ
لو كنتَ تعلمُ ما في البدوِ تعذرُني
لكنَّ جهلتَ وكم في الجهلِ من ضررٍ
أو كنتَ أصبحتَ في الصحراءِ مرتقياً
بساطِ رملٍ به الصبَاءُ كالنُورِ
أو جُلْتَ في روضةٍ قد راقَ منظرُها
بكلِّ لونٍ جميلٍ شيقٍ عطرٍ
تستنشقنُ نسيماً طابَ منْشَقُها
يزيدُ في الروحِ، لم يمرُّ على قنْذِر^(٢)
أو كنتَ في صبحٍ ليلٍ هاجَ هاتِنُه
علوتَ في مرقَبٍ، أو جلتَ بالنظرِ^(٣)
رايتُ في كلِّ وجهٍ من بسائطِها
سِرّاً من الوحشِ يرعى أطيَبَ الشجرِ

(*) نظم الشاعر القصيدة إجابة عن سؤال وجهه إليه بعض أمراء فرنسا وهو: "البدو أفضل أم الحضرة؟".

(١) القصيدة في "أ"، ص: ١٥، ١٦ و: "ت"، ص: ٥٣٠، ٥٣٢، و"ن"، ص: ٣٣، ٣٦ و"ص"، ص: ١٧٢، ١٨٠.

(٢) في "أ" لم يسري على. [والتوكيد في «تستنشقن» ضرورة. انظر معجم النحو ٤١٤] (م).

(٣) المرقب: المكان المرتفع يرتفع عليه الرقيب، والجمع مراقب.

فَيَسْأَلُهَا وَقْفَةً لَمْ تَبْقِ مِنْ حَزْنِ
 فِي قَلْبِ مَضْنَى، وَلَا كِدًّا لَذِي ضَجْرِ^(١)
 تُبَاكِرُ الصَّيْدَ أَحْيَانًا فَنَبَغْتُهُ
 فَالصَّيْدُ مَنَا مَدَى الْأَوْقَاتِ فِي دُعْرِ^(٢)
 فَكَمْ ظَلَمْنَا ظَلِيمًا فِي نِعَامَتِهِ
 وَإِنْ يَكُنْ طَائِرًا فِي الْجَوِّ كَالصَّقْرِ^(٣)
 يَوْمَ الرَّحِيلِ إِذَا شُدَّتْ هَوَاجُنَا
 شَقَائِقُ غَمُّهَا مَزْنٌ مِنَ الْمَطْرِ
 فِيهَا الْعَذَارَى وَفِيهَا قَدْ جَعَلْنَ كَوَى
 مَرْقَعَاتٍ بِأَحْدَاقٍ مِنَ الْحَوْرِ^(٤)
 تَمْشِي الْحَدَاةُ لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَجَلٌ
 أَشْهَى مِنَ النَّايِ وَالسَّنْطِيرِ وَالْوَتْرِ^(٥)
 وَنَحْنُ فَوْقَ جِيَادِ الْخَيْلِ نُرْكُضُهَا
 شَلِيلُهَا زِينَةُ الْأَكْفَالِ وَالْخَصْرِ^(٦)
 نَطَارُهُ الْوَحْشَنَ وَالْغَزْلَانَ نَلْحَقُهَا
 عَلَى الْبُعَادِ وَمَا تَنْجُو مِنَ الضُّمْرِ
 نَرُوحُ لِحْيٍ لَيْلًا بَعْدَمَا نَزَلُوا
 مَنَازِلًا مَابِهَا لَطُخٌ مِنَ الْوَضْرِ^(٧)
 تَرَابُهَا الْمَسْكُ بِلِ انْقَى وَجَانَدَ بِهَا
 صَوْبُ الْغَمَامِ بِالْأَصَالِ وَالْبَكْرِ

(١) فِي "ت" ضَنْكَا، وَفِي "ص" مِنْ وَقْفَةٍ.

(٢) الصَّيْدُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَصِيدِ (م).

(٣) فِي "ا" وَ"ت" مَعَ نِعَامَتِهِ، وَالظَّلِيمُ ذَكَرُ النِّعَامَةِ.

(٤) شَبَّهَ عَيُونَ الْعَذَارَى وَهُنَّ يَنْظُرْنَ إِلَى الرِّجَالِ مِنْ خَلْفِ شَقَوِّ السَّنَائِرِ بِالرَّقَاعِ تَسْتَرِ هَذِهِ الْكَوَى.

(٥) الْحَدَاةُ : وَاحِدُهَا حَادِرٌ وَهُوَ الَّذِي يَنْشُدُ الْإِبِلَ لِحَتِّهَا عَلَى السَّيْرِ، وَالسَّنْطِيرُ آلَةُ مُوسِيقِيَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالْقَانُونِ.

(٦) الشَّلِيلُ : قِطْعَةٌ نَسِيجٍ مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرٍ تَوْضَعُ عَلَى عَجْزِ الْبَعِيرِ مِنْ وَرَاءِ الرَّجْلِ، وَفِي «ص» : شَبَّهَ عَرَقَ الْفَرَسِ بِالشَّلِيلِ، وَالْأَكْفَالُ جَمْعُ الْكَفْلِ : الْعَجْزُ (م) ..

(٧) الْوَضْرُ : الْقَنْدَرُ. [وَاللَطُخُ : الْبَسِيرُ الْقَلِيلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] (م).

نلقى الخيام.. وقد صُفَّتْ بها - فغدتُ
 مثلَ السماء زهتُ بالأُجْمِ الزهرِ
 قال الألي قد مضوا، قولاً يصدقهُ
 نقلٌ وعقلٌ وما للحق من غيرِ:
 "حسنٌ يظهَرُ في بيتين، رونقُهُ:
 بيتٌ من الشُّعْرِ أو بيتٌ من الشُّعْرِ"^(١)
 انعامنا إن أتت عند العشي نحلُ
 أصواتها كدوي الرعد بالسحرِ
 سفائنُ البرِّ بل أنجى لراكبها
 سفائنُ البحر كم فيها من الخطرِ^(٢)
 لنا المهاري وما للريم سرعتهُ
 بها وبالخيال نلنا كل مفتخرِ^(٣)
 فخيّلنا دائماً للحرب مُسرّجةً
 من استغاث بنا بشُّره بالظفرِ
 نحن الملوك فلا تعدل بنا أحداً
 وأي عيش لمن قد بات في خفرِ^(٤)
 لا نحمل الضئيم ممّن جاء نتركةً
 وأرضه وجميع العز في السفرِ
 وإن أساء علينا الجارُ عشرتهُ
 نبين عنه بلا ضررٍ ولا ضررٍ
 نبيت: نار القيرى تبتدو لطارقنا
 فيها المداواة من جوع ومن خصرِ^(٥)

(١) البيت لأبي العلاء المعري، وقد ضمنه الشاعر في قصيدته.

(٢) سفائن البر: كناية عن الإبل.

(٣) مهاري جمع مهريّة: ناقة من انجب النوق منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن (م).

(٤) لعل البيت فيه بعض ما في قول الزبيرقان بن بدر: "نحن الكرام فلا حي يعادلنا".

(٥) في "أ" تبيت.

عَدُونًا مَالَهُ مَلْجَأٌ وَلَا وَزْرٌ
 وَعُنْدَنَا عَادِيَاتُ السَّبِقِ وَالظَّفَرِ^(١)
 شَرَابُهَا مِنْ حَلِيبٍ مَا يَخَالِطُهُ
 مَاءٌ وَلَيْسَ حَلِيبُ النُّوقِ كَالْبِقْرِ
 أَمْـ وَالْأَعْدَاءُ نَا فِي كُلِّ أَوْنَةٍ
 نَقْضِي بِقَسَمَتِهَا بِالْعَدْلِ وَالْقَدْرِ
 مَا فِي الْبَدَاوَةِ مِنْ عَيْبٍ تُذَمُّ بِهِ
 إِلَّا الْمَرْوَعَةُ وَالْإِحْسَانُ بِالْبِرِّ^(٢)
 وَصِحَّةُ الْجِسْمِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ
 وَالْعَيْبُ وَالْدَاءُ مَقْصُورٌ عَلَى الْخَضَرِ
 مَنْ لَمْ يَمُتْ عِنْدَنَا بِالطَّعْنِ عَاشَ مَدًى
 فَنَحْنُ أَطْوَلُ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْعَمْرِ !!

(١) لا بد من تسهيل همزة (ملجأ) لاستقامة الوزن (م).

(٢) البئر (بكسر الباء وفتح الدال) جمع البئرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم (م).

شدت عليه شدة هاشمية(*)

[من الطويل]

توسّد بمهد الأمن قد مرّت النوى
وزال لغوب السير من مشهد النوى^(١)
وعرّ جياتاً حاد بالنفس كرّها
وقد أشرفت - ممّا عراها - على النوى^(٢)
الا كم جرت طلقاً بنا تحت غيب
وخاضت بحار الآل من شدة الجوى^(٣)
وكم من مفازات يضلّ بها القطا
قطعت بها والذئب من هولها عوى^(٤)
وقد أصبحت مثل القسي ضوامراً
وتلك سهام للعدا وقّعها شوى^(٥)
إلى أن بدت نيران أعلامنا لها
وفي ضوء نيران الكرام لها صوى^(٦)
ولا سيّما أهل السيّادة مثلنا
بنو الشرف المحض المصون عن الهوى^(٧)

(*) قال الشاعر قصيدته في معركة "خندق النطاح" قرب وهران، وقد وجه إليه فارس من الأعداء سهماً فمر نحو إبطه، ولم يصبه باذى، وشد عليه الأمير ثم هوى على الفارس فارداً قتيلاً. وقاد هذه المعركة والد الأمير عبد القادر "محيي الدين".

(١) القصيدة في "آ"، ص: ٣، ٥؛ و: "ت"، ص: ١٤٩، ٥١؛ و: "ص"، ص: ٩٩، ١١٠؛ و: "ن"، ص: ٢١، ٢٦؛ واللغوب: التعب والإعياء. والنوى: النزول والإقامة.

(٢) في "ت"، جاد بالنفس والتوى: الهلاك.

(٣) في "آ"، و: "ت"، وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب، والجوى: الحزن الشديد. والغيب: الظلام.

(٤) المفازات: الصحارى القاحلة، جمع مفازة.

(٥) في "آ" و: "ت" لذا قد غدت، والشوى: المتلاحق، أو اللحم إذا نضج شويًا. [والشوى: الأمر الهين] (م).

(٦) في "آ" و: "ت" وما ضوء، و: انزوى، والصوى: ما يستدل به في الطريق، وهو صوت الصدى أيضاً.

(٧) في "آ" المصان.

فَقَالَتْ : أَيَا ابْنِ الرَّاشِدِيِّ لَكَ الْهِنَا
كَفَى فَا تَرَكَ التَّسْيَارَ وَاحْمَدُ وَجَى النَّوَى^(١)
أَلَا يَا ابْنَ خَالِدٍ تَطَاوَلْتَ لِلْعُغْلَا
وَبَايَنْتَ مَاوَاكَ الْكَرِيمَ وَمَا حَوَى^(٢)
فَمَنْ أَجَلُ ذَا قَدْ شُدَّ فِي رُبْعِنَا لَهَا
عِيقَالُ وَنَادَيْنَا : لَكَ الْعِزُّ قَدْ ثَوَى^(٣)
وَحَلُّ بَكْهَفٍ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ
فَمَنْ حَلُّ فِيهِ مِثْلُ مَنْ حَلُّ فِي طَوَى^(٤)
فَإِنَّا أَكَالِيلُ الْهَدَايَةِ وَالْعُغْلَا
وَمِنْ نَشْرٍ عَلَيْهَا ذَوِي الْمَجْدِ قَدْ طَوَى^(٥)
فَنَحْنُ لَنَا دِينَ وَدُنْيَا، تَجَمَّعَا
وَلَا قُخْرَ إِلَّا مَا لَنَا يَرْفَعُ اللَّوَا^(٦)
مَنَاقِبُ مَخْتَارِيَّةٌ قَادِرِيَّةٌ
تَسَامَتْ وَعِبَاسِيَّةٌ مَجْدُهَا اخْتَوَى^(٧)
فَإِنْ شِئْتَ عِلْمًا تَلْقَنِي خَيْرَ عَالَمٍ
وَفِي الرُّوعِ أَخْبَارِي - غَدَتْ - تُوهِنُ الْقَوَى^(٨)

- (١) في "أ" و"ت" يابن، وقصد بالراشدي نفسه، تثني عليه بالراي الحصيف، الموصوف به أبوه قبله. والوجي: تعب الرجل، والمراد التعب عامة.
- (٢) في "أ" إلا يا ابن خالد، وهو الصحيح و"ياين" خطأ مطبعي في الأصل المعتمد، و: خالد: مبالغة من خالد - وباينت: تركت، وهجرت.
- (٣) في "أ"، و"ت" عقلا وهو كناية عن المكوث.
- (٤) طوى: الوادي المقدس الذي نزل به نبي الله موسى عليه السلام، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿أَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ طه: ١٢.
- (٥) في "أ"، و"ت" فنحن، و: عليهم.
- (٦) في "أ"، و"ت" ونحن لنا.
- (٧) مختارية: منسوبة إلى محمد ﷺ النبي المختار، وقادريّة: منسوبة إلى الطريقة الصوفية القادرية. وعباسية: أراد بني العباس أعمام رسول الله محمد ﷺ.
- (٨) في معنى الحديث النبوي: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ...».

لَنَا سَفْنٌ بِحَرِّ الْحَدِيثِ بِهَا جَرَى
وَخَاضَتْ فَطَابَ الْوَرْدُ مِمَّنْ بِهَا ارْتَوَى^(١)
وَأِنْ رَمَتْ فَقَّةَ الْأَصْبَحِيِّ فَعُجْ عَلَى
مَجَالِسِنَا تَشْهَدُ لَوَاءَ الْعَنَّا دَوَا^(٢)
وَأِنْ شِئْتَ نَحْوًا، فَاَنْحُنَّا، تَلَقَّ مَا لَهُ،
غَدَا يَذْعِنُ الْبَصْرِيُّ زُهْدًا بِمَا رَوَى^(٣)
وَنَحْنُ سَقِينَا الْبَيْضَ فِي كُلِّ مَفْرَكٍ
دَمَاءُ الْعَدَا وَالسَّمَرُ اسْتَعَرَتِ الْجَوَى^(٤)
أَلَمْ تَرَ فِي (خُنُقِ النَّطَاحِ) نَطَاحِنًا
غَدَاةَ التَّقِينَا كَمْ شَجَاعٍ لَهُمْ لَوَى^(٥)
وَكَمْ هَامَةٌ ذَاكَ النَّهَارَ قَدَدَتْهَا
بِحَدِّ حُسَامِي وَالْقَنَا طَعْنُهُ شَوَى^(٦)
وَأَشَقَرْتُ حَتَّى كَلَمْتُهُ رَمَاحُهُمْ
ثَمَانٍ وَلَمْ يَشْكُ الْجَوَى بَلْ وَمَا التَّوَى^(٧)
بِيَوْمٍ قَضَى نَحْبًا أَخِي فَارْتَقَى إِلَى
جِنَانٍ لَهُ فِيهَا نَبِيُّ الرِّضَا أَوَى^(٨)
فَمَا ارْتَدَّ مِنْ وَقَعِ السُّهُامِ عَنَانُهُ
إِلَى أَنْ أَتَاهُ الْفُؤُورُ رَاغِمٌ مِنْ غَوَى^(٩)

(١) في "أ"، و"ت" به جرت. و: ممن به.

(٢) الأصبحي هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي (توفي ١٧٩هـ). عج: أقبل والتفت.

(٣) فأنحنا: أقدم، وتمثل طريقنا. البصري: أراد الحسن البصري.

(٤) في "ت" وإنا سقينا. والبيض: السيوف. والسمر: الرماح.

(٥) خنق النطاح: المكان الذي وقعت فيه المعركة المتناولة في النص، وهو قريب من وهران وكانت بقيادة محيي الدين والد الأمير عبد القادر. وفي "ت": لها لوى.

(٦) هامة: رأس، وشوى: متقاتل، متتابع.

(٧) في "أ" و"ن" جوى، وفي "ت" مرارا. وكلمته رماحهم: أصابته رماحهم، والجوى: الحزن الشديد.

(٨) أراد باخي ابن أخيه أحمد بن محمد سعيد الذي استشهد في معركة خنق النطاح الثانية: والبيت فيه معنى من قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٣.

(٩) في "ت" يرغم من عوى. وأراد باتاه الفوز استشهاده في سبيل الله والذود عن الوطن.

وَمِنْ بَيْنَهُمْ حَمَلْتُهُ حِينَ قَدْ قَضَيْتُ
 وَكَمْ رُمِيَّةٌ كَالنُّجْمِ مِنْ أَفْقِهِ هَوَى
 وَيَوْمَ قَضَيْتُ تَحْتِي جِوَادُ بَرْمِيَّةٍ
 وَبِي اخْدَقُوا لَوْلَا أَوْلُو الْبَاسِ وَالْقَوَى ^(١)
 وَأَسْيَافُنَا قَدْ جُرِدَتْ مِنْ جَفَوْنِهَا
 وَرُدَّتْ إِلَيْهَا بَعْدَ وَرْدِ وَقْدِ رَوَى ^(٢)
 وَلَمَّا بَدَأَ قِرْنِي بِيَمْنَاهُ حَزْبِيَّةٌ
 وَكَفِّي بِهَا نَارَ بَهَا الْكَبْشُ قَدْ شَوَى ^(٣)
 فَايَقَنْ أَنِّي قَابِضُ الرُّوحِ فَاَنْكَفَا
 يُؤَلِّي فَوَاقَاهُ حُسَامِي مَذْهُوَى
 شَدِدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةَ هَاشِمِيَّةٍ
 وَقَدْ وَرَدُوا وَرْدَ الْمَنَآيَا عَلَى الْغَوَى ^(٤)
 نَزَلْتُ بِبَرْجِ الْعَيْنِ نَزْلَةً ضَيِّغَمٍ
 فَزَادُوا بِهَا حَزْنًا وَعَمَّهُمُ الْجَوَى ^(٥)
 وَمَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِكُلِّ مِهْنَدٍ
 وَكُلِّ جِوَادٍ هَمَّةُ الْكَرَّ لَا الشَّوَى ^(٦)
 وَذَا دَابَّتْنَا. فَمِيسَهُ حَيَاةً لَدَيْنَا
 وَرُوحُ جِهَادٍ بَعْدَمَا غُصِنَتْهُ ذَوَى ^(٧)

(١) أولو اليأس: جنوده المسلمون.

(٢) الجفون جمع الجفن: غمد السيف (م).

(٣) في "ت": يشتوى، والقرن: الخصم والكفه، والكبش هنا زعيم القوم.

(٤) في "ت": عليهم، والغوى: الضلال.

(٥) برج العين: مكان يقع غرب مدينة وهران. وقد وقعت فيه معركة بعد معركة خندق النطاح وكان الجيش الاستعماري بقيادة الجنرال "بويه" حاكم وهران آنذاك.

(٦) الشوى: التقهقر والانسحاب، والبيت فيه من بيت عنقرة: «ما زلت أرميهم بثغرة نحرهم...»

(٧) واران «بذوى الغصن» التخلي عن الجهاد، وقبول الهوان والذل، والاستكانة.

جَزَى اللّٰهُ عَنَّا كُلَّ شَيْءٍ غَسَدَتْ بِهِ
 (غريس) لَهَا فَضْلٌ أَتَانَا وَمَا انزَوَى ^(١)
 فَكَمْ أَضْرَمُوا نَارَ الْوَعْيِ بِالظُّبَا مَعِي
 وَصَالُوا وَجَالُوا وَالْقُلُوبُ لَهَا اشْتَوَا ^(٢)
 وَإِنَّا بَنُو الْحَرِبِ الْعَوَانِ لَنَا بِهَِا
 سِرُورٌ إِذَا قَامَتْ وَشَانِنُنَا عَوَى ^(٣)
 لِذَاكَ عَمْرُوسُ الْمَلِكِ كَانَتْ خَطِيبَتِي
 كَفَسِحَاةٍ مُوسَى بِالنَّبُوءَةِ فِي طَوَى ^(٤)
 وَقَدْ عَلَّمْتَنِي خَيْرَ كَفَرٍ لَوْصَلَهَا
 وَكَمْ رَدُّ عَنْهَا خَاطِبٌ بِالْهُوَى هَوَى
 فَوَاصِلُتُهَا بَكَرًا لَدِي تَبَرُّجَتْ
 وَلِي اذْعَنْتُ وَالْمَغْنَمُ لَدِي بِالنَّوَى ثَوَى
 وَقَدْ سَرْتُ فِيهِمْ سِيرَةً عُمَرِيَّةً
 وَاسْقَيْتُ ظَامِيَهَا الْهَدَايَةَ، فَارْتَوَى ^(٥)
 وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا الَّذِي
 يَنْبِرُ الدِّيَاجِي بِالسَّنَا بَعْدَمَا لَوَى ^(٦)

(١) غريس : قبيلة من قبائل غرب الجزائر، وقفت إلى جانب الأمير عبد القادر في جهاده.

(٢) اشتوا: مخففة من اشتواء

(٣) في "آ"، و"ت" : هالنا. الشانين : الكاره الحاقد، والباغض.

(٤) ذهب في البيت إلى أنه فوجيء بالإمارة كما فوجيء موسى عليه السلام بالنبوة في الوادي المقدس.

(٥) سيرة عمرية : أراد عمر بن الخطاب في عهده، وحزمه وتقواه.

(٦) لوى : خمد وانطفا وطوي. والسنا: الضياء.

بجاء ختام المرسلين مُحمَّد
اجل نبي كل مكرمة حوى
عليه صلاة الله ثم سلامه
والوصح ما سرى الركب للوى
وما قال بعد السير والجذ منشد:
"توسد بمهد الأمن قد مرت النوى"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ب - الفـزل

مسلوب الرقاد (*)

[من الوافر]

الْأَقْلُ لِلْأَتْيِ سَلَبَتْ قُـ وَادِي

وَابْقِ _____ تَنْبِيْهِ اِهْيَا كُلُّ وَادٍ: (١)

تركت الصب ملته هباح شاه

حَلِيفٌ شَجِيٌّ يَجُوبُ بِكُلِّ نَارٍ^(٢)

وَمَا لِي فِي الذَّائِرِ مِنْ نَصِيْبِ

تُودَع مِنْهُ سَلُوبُ الرِّقَابِ

(*) قالها في ابنة عمه.

(١) مقطوعة في "أ"، ص: ١٧ و"ص"، ص: ١٣٥ وفي "ب" و"ص" وادي. يبدو أثر القرآن الكريم واضحاً في شعر الشاعر، فقلوه: "أهيم بكل واد" مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٥.

(٢) في "أ" تركت العقل. و نادي.

دموع ونار(*)

[من الطويل]

إِلَامَ فَوَادِي بِالْحَبِيبِ هَتُّور^{١٢}
ونارُ الجَوَى بين الضلوعِ تَتُّور^(١)
وَحُزْنِي مَعَ السَّاعَاتِ يَرُبُّو مَجْدًا
وليلي طویلُ والمنَامُ نَفُّورُ
وَحَتَّى مَتَى أَرَعَى النُّجُومَ مُسَامِرًا
لَهَا وَدَمْعُ الْعَيْنِ ثَمَّ تَفُّور^{١٢}
أَبَيْتُ كَأَنِّي بِالسَّيِّمِ مَوَكَّلُ
وَعَيْنِي حَيْثُ الْجَدْيُ دَارَ تَدُور^(٢)

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(١) المقطوعة في "أ"، ص : ٥٤، و"ص"، ص : ٢٠٨، وفي "ب" و"قلبي". وهتور : مولع بشف.

(٢) السماك : نجم معروف، أما الجدي فهو برج من أبراج السماء.

مَنْتُوا بَلْقِيَاكُمْ (*)

[من الطويل]

فَإِنْ كَسَانَ هَذَا الْبَعْدُ تَأْدِيبَ مَذْنَبٍ
فَإِنَّا بِهِذَا الْقَدْرِ صَرْنَا عَلَى شَفَا (١)
وَإِنَّا لَنُخْشَى أَنْ تَطَاوَلَ بَعْدُكُمْ
يَصِيرُ لَكُمْ سَلْوَى فَلَا يُرْتَجَى شِفَا
فَمَنْتُوا بَلْقِيَاكُمْ وَالْأَفْلا بَقَا
وَرِيحُ الْفَنَاءِ تَسْفِي عَلَيْنَا إِذَا سَفَا (٢)

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(١) المقطوعة في "ص"، ص: ٢٤٢ [وقوله «صرنا على شفا»: شفى كل شيء حرقه؛ يقول: إنه صار على شفا

مشكلة أو مصيبة..] (م).

(٢) سفا الريح الغبار: أثاره بشدة.

يتيه بدله عمدا (*)

[من الوافر]

أودَ بأنْ أرى ظبي الصَّحَّارِى
وارْقُبْ طيْفَقَهُ والليلُ سَارِ^(١)
وأطْلُبْ قَرِيبَهُ، فَيَزِيدُ بُغْدًا
قَدِيمًا من وصالٍ في نَفَارِ^(٢)
وهذا الظبيُّ لا يرعى ذِمَامًا
ولَا يَرْضَى مَوَانِسَةً لِحَارِ^(٣)
يتيه بدله ويصُولُ عَمْدًا
غنيُّ بالجَمَالِ فلا يُدَارِى
أما زُحَّةٌ فلا يَرْضَى مَزَاحًا
وأسالةُ المرءِ فلا يُمَارِى^(٤)
ويغْتَبِنِى فيكسُو القلبَ بسُطًا
لأنَّ العَثْبَ يطفِى حُرُّ نَارِى
فإنْ هُوَ لَمْ يَجُذْ بالوصلِ أصْلًا
ويُذِنُ الطَّيْفَ من سَكْنِى و دَارِى

(*) موجهة لابنة عمه كالقصائد السابقة.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ١٧، و "ص"، ص: ١٥٨، ١٦٠ وت، ص: ٥٤، وفي "أ" سارى.

(٢) في "أ" من وصالى.

(٣) في "ص" ولا يرعى مؤانسة.

(٤) خرج الشاعر بـ (المرء) عن المعنى المعروف إلى مقتضى المغازلة وما هو بسببه من قول أو ممازحة.

أَقُلْ لِنَفْسٍ : وَيَكُ الْآفْسُ ذُوِي
وَمَوْتِي فَالْقَضَاءُ عَلَيْكَ جَارٍ (١)
وَيَسْأَلُنِي الْحَيَاةَ إِذَا تَبَدَّى
بُوجْهِهِ فِي الْإِضَاءَةِ كَالنُّهَارِ

(١) في "أ" جاري.

بنت العم(*)

[من الوافر]

أقاسي الحب من قاسي القواد
 وارعى لاه ولا يرعى ودادي^(١)
 (أريد حياتها وتريد قتلي)
 بهجر أو بصد أو بعادي^(٢)
 وأبكيها فتضحك ملء فيها
 وأسهر وهي في طيب الرقاد
 وتعمى مقلتي إنا تناءت
 وعيناها تعمى عن مرادي^(٣)
 وتهجرني بلا ذنب تراه
 فظلمي قد رأت دون العباد
 واشكوها البعاد وليس تصغي
 إلى الشكوى وتمكث في ازدياد
 وأبذل مهجتي في لثم فيها
 فتمنعني وأرجع منه صادي^(٤)
 وأغتر العظم لها وتخصي
 علي الذنب في وقت العداد
 وأخضع ذلة فتزيد تيهها
 وفي هجري أراها في اشتداد

(*) تغزل فيها بابنة عمه التي هي زوجته

(١) القصيدة في "١" ص : ٣١، ٣٠ وفي "ص" ص : ١٣٣، ١٣٥، و"ن" ص : ٤٦، ٤٥ .

(٢) في "١" بعادي. [وفي البيت تضمين قول الشاعر عمرو بن معد يكرب:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد] (م).

(٣) في "١" مقلتي إن ما راتها.

(٤) وجه الكلام أن يقال: أرجع منه صادياً، والصادي العطشان (م).

فَمَا تَنْفَكُ عَنِّي ذَاتَ عَزٍّ
وَمَا أُنْفَكُ فِي ذُلِّي أَنَا بِي
فَمَا فِي الذَّلِّ لِلْمَحْبُوبِ عَارٌ
سَبِيلُ الْحُبِّ ذُلٌّ لِلْمُرَادِ (١)
رَضْنَا الْمَحْبُوبَ لَيْسَ لَهُ عَدِيلٌ
بَغَيْرِ الذَّلِّ لَيْسَ بِمُسْتَفَادٍ
أَلَا مَنْ مَنَصَّفِي مِنْ ظَبِّي قَفَرٌ
لَقَدْ أَضَحْتُ مَرَاتِعَهُ فَوَادِي (٢)
وَمِنْ عَجَبِ تَهَابِ الْأَسْنَدِ بِطَشِي
وَيَمْنَعُنِي غَزَالٌ عَنْ مَرَادِي
وَمَاذَا ؟ غَيْرَ أَنَّ لَهُ جَمَالاً
تَمْلُكَ مَهْجَتِي مَلِكِ السُّوَادِ (٣)
وَسُلْطَانُ الْجَمَالِ لَهُ اعْتِزَالٌ
عَلَى ذِي الْخَيْلِ وَالرَّجُلِ الْجَوَادِ (٤)
وَهَذَا الْفَعْلُ مَغْتَفَرٌ وَزِينٌ
إِذَا - يَوْمًا - أَبَيْتُ عَلَى مَعَادٍ
فَإِنْ رَضَيْتُ عَلَيَّ ارْتِ مُخَيَّأً
بَشُوشًا بِالمَلَا حَةِ ظِلِّ بَادٍ (٥)

(١) في "١" سبيل الجد.

(٢) ظبي قفر : كنى به عن المرأة.

(٣) يقال السواد للعين، ويُستعار للقلب «سويداء القلب» (م).

(٤) ذو الخيل : الفارس الشجاع، وأراد بالرجل الجواد : أن الكريم يجود للجمال بإيائه، وعزمه ويخضع له.

(٥) في "١" ضل بادي [يريد ظل بادياً] (م).

خَلِيلِي !! إِنَّ أَتَيْتَ إِلَيَّ يَوْمًا
بَشِيرًا بِالْوَصَالِ وَبِالْوَدَادِ
فَنَفْسِي بِالْبَشِيرَةِ إِنَّ تَرْمِيهَا
فَخِذَهَا بِالطَّرِيفِ وَبِالتَّلَادِ^(١)
إِذَا مَا النَّاسُ تَرَعِبُوا فِي كُنُوزِ
فَنَبَتْ الْعَمُّ مَكْتَنُزِي وَزَادِي

(١) الطريف : الجديد، والتلید : القديم.

جودي بطيف(*)

[من الطويل]

جفاني من أم البنين خيال
فقلبي جريح والدموع سجال^(١)
ولو قلت : دمعي قد ملكت فكاذب
بدعواي بل ذا غيرة وضال^(٢)
وبي مايزيل العقل عن مستقره
فلا تعجبوا إن قيل : فيه خيال^(٣)
وماهي إلا الروح بل إن فقدتها
فإن بقائي دونها محال
أحب الليالي كي أفوز بطيفها
وارجو المنى بل قد أقول : أنال
أكلّف جفني النوم علي أن أرى
مثالها يسري وليس مثال
فقولوا لها : إن كنت ترضين عيشتي
فجودي بطيف إن يعز وصال^(٤)
فـينعم قلبي والجوارح كله
والأفعى شي محنة ووبال

(*) قالها مناجياً زوجته.

(١) القصيدة في "١"، ص: ٣١، ٣٢ و"ص" ص: ٢٦٠، ٢٦١ و"ن" ص: ٥٤ وسجال : متدفقة منهمة.

(٢) في "١" ذا عزة [و: غيرة، بكسر الغين، أي خداع].

(٣) في "١" من مستقرة. والخيال: فاقد العقل، أو القريب من ذلك.

(٤) في "١" ترضي بعيشي [يعز: يصعب ويتعثر] (م).

فراقك ناراً (*)

[من الطويل]

اقولُ لحبيبٍ تخلف من بغدي
عليلاً باوجاعِ الفراقِ وبالبُغْدِ^(١)
أما أنت - حقاً - لو رأيتَ صبابتي
لهانَ عليك الأمرُ من شدةِ الوجدِ
وقلتَ : أرى المسكينَ عذبةَ النوى
وانحله - حقاً - إلى منتهى الحدِّ
وساعكَ ما قد نلتُ من شدةِ الجوى
فقلتَ : وما للشوقِ يرميكَ بالجدِّ^(٢)
وإني - وحقُّ الله - دائمٌ لوعده
ونارُ الجوى بين الجوانحِ في وقْدِ^(٣)
غريقٍ أسيرٍ السقمِ مكلومٍ الحشا
حريقٍ بنارِ الهجرِ والوجدِ والصدِّ^(٤)
غريقٍ حريقٍ هل سمعتمُ بمثلِ ذا
ففي القلبِ نارٌ والمياه على الخدِّ
حنيني أنيني زفرتي ومضرتي
دموعي خضوعي قد أبانَ الذي عندي^(٥)

(*) قال القصيدة في زوجته عندما كان في إسطنبول، وأرسلها إليها في بروسة، ضمنها تشوقه إليها.

(١) القصيدة في "أ" ص: ٣٢، ٣٣ و: "ت"، ص: ٥٩٥، و"ص"، ص: ١٤٤، ١٤٨ و"ن"، ص: ٤٣، ٤٤

(٢) في "ت": أرمك بالجد. والجوى: حرقه الوجد، وشدته.

(٣) في "ت" فإني - وحق الله -

(٤) لا يستقيم الوزن إلا بتنوين ميم (مكلوم) على معنى (الحشا مكلوم)؛ ويكون قوله: مكلوم الحشا، جملة اسمية، المبتدا فيها مؤخر (م).

(٥) في "أ"، و"ت": أبانوا لما عندي.

ومن عجب صبري لكل كريمة
 وحَمَلِي الثقالاً تجلُّ عن العَدِّ^(١)
 ولست أهابُ البريضَ كلاً ولا القنأ
 بيومٍ تصير الهامُ للبريضِ كالغَمْدِ
 ولا هالني زحفُ الصفوفِ و صَوْتُهَا
 بيومٍ يشيب الطفلُ قيه مع المُردِ
 وأرجأؤه أضحت ظلاماً و برقّة
 سيوفاً واصواتُ المدافع كالرُغْدِ^(٢)
 وقد هالني بل قد أفاض مدامعي
 واضنّى فؤادي بل تعدّى عن الحدِّ^(٣)
 فراق الذي أهواه كهُلاً ويافعاً
 وقلبي خلي من سعاد ومن هُندِ
 فحلت محلاً لم يكن حلّ قبْلَهَا
 وهيّهات أن يحلّ به الغيرُ أو يجدي^(٤)
 وقد عرفنني الشوق من قبلُ والهوى
 كذا والبكا - يا صاح - بالقصر والمدّ
 وقد كُفّنني الليلُ أرعى نجومه
 إذا نأمه المرتاعُ بالبعد والصدِّ^(٥)
 فلو حملت رضى من الشوق بعض ما
 حملت لذاب الصخر من شدّة الوجْدِ

(١) في 'ت' وت: لاثقال.

(٢) في 'ت' : سيوف واصوات.

(٣) يقال تعدّى الأمر (دون حاجة إلى الأداة: عن) (م)

(٤) في البيت ضرورة شعرية هي عند النقاد والعروضيين ضرورة قبيحة في جزم الفعل المضارع «يحل»، وحقه النصب بأن. وكلمة (يُجدي) تحتها نظر وإن ثبتت في المصادر المطبوعة كذلك.

(٥) المرتاع : الذي أصابه الروع (الخوف الشديد) (م).

الأهل لهذا البين من آخرٍ : فَعَدُّ
تطاولَ حتى خِلْتُ هذا إلى اللحدِ
الأهل يَجُودُ الدهرُ بعدَ فراقنا
فيجْمَعُنَا والدهرُ يجري إلى الضدِّ
واشْكُوكَ ما قد نلتُ من ألمٍ ومَا
تحمُّله ضاعفني وعالجه جَهْدِي
لكي تعلمي - أم البنين - بأنَّه
فراقك نارٌ واقست رابك من خلدِ

أرضى بطيف خيال(*)

[من البسيط]

أحبَّ بابَ قلبي ١١ كم بيني وبينكم
من أبحر وصفها قد دقَّ عن حدٍّ ١١ (١)
تصارُ فيها القطا، والعِي يدركها
حتى الجهاتُ بها تُخفى عن القصْدِ
مَا كنتُ أدري بان الدهرَ يبعدكم
عني ويتركني - من بَعْدكم - وخدي
قد خائفني الصبرُ ما أجْدَى بمنفعةٍ
سيلُ المدامعِ قد سالتُ على خدي (٢)
والطيفُ مسئَّلٌ لي أوصافكم فبيدا
بشرى ومذْقمتُ غير الحزنِ ما عندي (٣)
هل الغزالُ الذي أهواهُ يستعفني
بالوصلِ يوماً كما قد كانَ في العهدِ ؟
هل النفورُ الذي أهواهُ يستعديني
بالقربِ من بعدٍ ما أبدى من الصْدِّ ؟
يا ذا النفور الذي في القلبِ مرتعُهُ !
ارتعُ به لا تُرغْ فالصبُّ في بُعدٍ
إني وإن كنتُ منِّي نافراً فلقَدْ
أرضى بطيفِ خيالٍ منك لا يجدي

(*) أرسل هذه القصيدة إلى ولده في بروسة، وهو في باريس بعد إطلاق سراحه، ورحلته الأولى إليها في ١٢٧١هـ.

(١) القصيدة في : ١٢، ص : ٣٢، وت : ص : ٥٩٤، و : ص : ١٣٧، ١٣٨ وفي : ١٢، وت :

قد صين عن حد، وهو من صان يصون بني للمجهول.

(٢) في : ١٢، وت : سوى المدامع.

(٣) أي قمت من النوم. ولما صحا ذهب عنه طيفها فاغتم لذلك (م).

ذات خلیخال(*)

[من الطویل]

- خليلي ا وافت منكم ذات خلخال
 تنية على شمس الظهيرة بالخال^(١)
 تميس فثري بالفصوص تمايلاً
 تروح وتغدو في برود من الخال^(٢)
 لها منطق حلو به سحر بابل
 وخيم الحواشي وهو امضى من الخال^(٣)
 موشحة من طرركم ببدايع
 محجبة عن كل ذي فطنة خال^(٤)
 وكسوتها النعماء من كل محسن
 يصد لراها الشجاع كما الخال^(٥)

(*) القصيدة جاءت معبأة بالبدیع مجازة من الشاعر للشاعر داوود البغدادي الذي مدح الأمير بقصيدة طافحة بالبدیع مطلعها:

جاءت مـبـشـرة الاحـباب بالبـشر
 حيت فـأحـييت بنـشـر مـيـت البـشر
 صـبـت على الصـب أنـواع التـفـفـيـل إذ
 سـرـت فـسـرت مـعـنى بالغـرام سـري

وهي في ٢١، ص: ٣٧، ٣٨ و ص: ٢٦٢، ٢٦٦. [وقد سمى المعلم بطرس كرامة قصيدته التي تنتهي بكلمة «الخال» باسم القصيدة الخالية، وباسم القصيدة ذات الخال «راجع: سجع الحمامة ص ٣٢٢ و ص ٣٦١، ولا شك أن اصداها كانت في اذني الأمير عبدالقاس، فادلى بدلوه للمعارضة ولإثبات التمكن ايضاً] (م).

- (١) الشامة، أو الخيلاء. وذات خلخال كناية عن قصيدة البغدادي التي مدح بها الأمير.
- (٢) الخال برد يمانى. وتميس : تتعطف، وتتمايل.
- (٣) الخال هنا : البرق، وبابل مدينة قديمة بالعراق يضرب بها المثل لجمالها.
- (٤) خالي البال، والبدايع المحجبة : المواهب المختلفة.
- (٥) الخال : الجبان الرعيد وهي من الاضداد.

- فَمَا نَسِجُ دَاوُدَ كَنَسِجٍ عَنَّا كَبِيرٍ
 وَلَا الْغَادَةُ الْهَيْفَاءُ تَزْهُو بِخُلْخَالٍ^(١)
 وَمَا عَيْبُهَا إِلَّا التَّغْرُبُ فِي الْوَرَى
 فَلَمْ تَلَقْ مِنْ أُخْتٍ لَهَا لَا وَلَا خَالَ^(٢)
 اتَّئِنِّي عَلَى بَعْدٍ وَلَمْ يَثْنِ عَزْمُهَا
 مَهَامِيهِ فَيَحْ لَا وَلَا سَطْوَةُ الْخَالِ^(٣)
 تَعَسَفَتِ الْفَيْفَاءُ فِي غَسَقِ الدَّجَى
 فَكَمْ قَطَعَتْ نَهْرًا مِنَ الْخَيْلِ وَالْخَالِ^(٤)
 اتَّئِنِّي - فَسَدَتْهَا النَّفْسُ - فِي حِينَ غَفْلَةٍ
 فَسَقَلْتُ لَهَا: أَهْلًا فَذَا وَقَتْنَا خَالَ^(٥)
 وَأَفْرَشْتُهَا خَدِّي وَقَلْتُ لَهَا: طَلِّي
 فَلَا تَحْسَبِي خَدِّي عَلَيْكَ بِذِي خَالَ^(٦)
 وَلَمَّا تَطَارَحْنَا الْأَحْصَادِيثَ بَيْنَنَا
 وَأَحَلَّى تَلَاقِي الْخَلَّ بِالْمَنْزِلِ الْخَالَ^(٧)
 وَعَنْكُمْ غَسَدَتْ تُخَيْبِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَإِنْ وَدَادِي الْيَسُومَ أَرَسَى مِنَ الْخَالَ^(٨)

(١) أبسورة تلبس في ساق المرأة، والبيت فيه تمثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ الأنبياء: ٢١.
 (٢) اخو الأم.
 (٣) الشجاع. والمهامه : جمع المهمة والمهمة: المفازة البعيدة.
 (٤) الفيفاء: الغلاة. الغسق: شدة ظلمة الليل. الخال: الفارس.
 (٥) وقتنا خال : فارغ.
 (٦) بذى خال : اختيال. والمراد انه لا يتمتع من ذلك بل يباير إليه (م).
 (٧) المنزل الفارغ.
 (٨) أرسى من الخال : الجبل العظيم.

- وابثنتُها وجُدي وما بين أضلعي
 من البعدِ والأشواقِ والدمعِ كالخال^(١)
 وحدثنُها عن لوعتي وتحرقِي
 وقطعِ الليالي بالتأملِ كخالِي^(٢)
 تكادُ لذكرهمُ تذوبُ حُشاشتي
 ومالي سواهمُ مِنْ وليٍّ ولا خال^(٣)
 ولولا الأمانِي كنتُ ذبتُ من الأسي
 أقولُ : كئيبٌ نال ذلك مِنْ خال^(٤)
 أروحُ نَفسي بالأمانِي راجيًّا
 سماعةَ دهرٍ ضنُّ يرجعُ كالخال^(٥)

(١) والدمع كالخال : المطر أو السحابة الماطرة.

(٢) بالتأمل كالخال : الملازم للشيء لا ينفك عنه.

(٣) ولاخال : الأمير، والحشاشنة : بقية الفؤاد.

(٤) من خال: من ضعيف القلب.

(٥) يرجع كالخال: الرجل السمج الكريم. وأروح: أخفف من الهموم. وذن : بخل..

ليس للحب دواء (*)

[من الطويل]

سألتُ رجالَ الطبِّ أَخْبِرْ كُلَّهُمْ
وهم أهلُ تجرّيبٍ وأهلُ ذكاءٍ: (١)
بأنَّ سقِيمَ الحبِّ هيهات ! ماله
دواءٌ إذا ما الحبُّ أصبحَ نائيً (٢)
عسَى ولعلُّ الله أن يبرّدَ الأسَى
فإنَّ رجاءَ الوصلِ بعضُ دواءٍ
ولو لم يكنْ للعاشقينَ تقرُّبٌ
لوقتِ وصالٍ مابقوا لمساءٍ !
وإن دأماً هجرُ الحبِّ أو زادَ بيئتهُ
فذلك داءٌ لم يزلْ يشفقُ فاءٍ
وفي مَنْ مضوا في شرعةِ الحبِّ والهوى
له أسسوةٌ فليصحبْ برنَّ لبلاءٍ

(*) قال المقطوعة إجابة عن سؤال طرح في مجلس من مجالس الأمير بفرنسا وهو: "هل للحب دواء؟".

فاختلف في شأنه، فمنهم من عده مرضاً ومنهم من عده طبيعة، وكتب الشيخ الشاذلي أبياتاً في

الموضوع وبعث بها إلى الأمير، ومطلعها:

«أيّا أهل فن الطبِّ باللسان خبِّروا
أيوجد الداء للحبِّ النجس يـلـ دواء؟
نهكت سقساماً لم أجِد لي شسافياً
فـ قلبي من غـيـر الخليل هواء»

فرد عليه الأمير بـ "ليس للحب دواء".

(١) في "رجال الحب.."

(٢) حقّ العبارة أن تكون "أصبح نائيّاً" من جهة النحو. وفي "الحب النائي" هنا غرابة. والمراد - كما يمكن

أن نستظهر - : الحب حين يوغل في النفس، ويتغلغل عميقاً (أو بعيداً) في القلب (م).

بالحظ تخذش وجنة (*)

[الطويل]

أقول لقوم لاتفسد نصيحتي
لديهم ولو أبدت كل الأدلة: (١)
الافتركوا ورد الخدود وشانها
فتخذيدكم في الخد أقبح فعلة (٢)
أعمد ذو لباً لخد مورر
ويقسمة عمداً إلى شر قسمة
ومادح شرط الخد في السود صادق
وأما بخد البيض فالقبح عمدتي (٣)
أما يختشي من أن يكون مخدداً
ويدخل في من حاز أفضح قوله (٤)
فباللحظ لا موسى تخدش وجنة
فياويلنا منه! وياطول حسرتي!
وإني لأهوى كل خد مورر
زها قط لم يمسنه موسى بخدشة (٥)

(*) جرى حديث عن الخدود المشرطة في الطائف أيام كان الشاعر هناك في عام ١٢٨٠هـ لأداء مناسك الحج

فذكر بعض الأدباء في جلسة من الجلسات أبياتاً في ذلك، ومنها:

«رأيت لها شرطاً على الخد قد حوى

جـمـالاً وقد زاد الملاحسة بالقرط

فقلت: مرادي اللثم. قالت بخلو

فقبلتها ألفاً على ذلك الشرط،

فاستهجن الأمير ذلك ورد بقصيدته «باللحظ»

(١) القصيدة في: ت، ص: ٧٠١ و ص: ١٢١، ١٢٢.

(٢) التخذيد: الشق، وأراد الشرط، والتشريط الموصوف في البيتين المذكورين في حاشية القصيدة (م).

(٣) في ت: بالسود.

(٤) يختشي: أراد يخشى، وهي عامية اقتضاها الوزن.

(٥) بعد (زها) وقف تام (م).

ج- مساجلات

متى ينقلب نحسي(*)

[من البسيط]

أُخِيّ ا نلتَ الذي قَدْ كُنتَ تَطْلُبُهُ
وَفَرَّتَ دُونِي بِمَا تَرْجُو وترغْبُهُ^(١)
وَسَاعَدْتُكَ اللَّيَالِي لَا شَقِيتَ فِذْمُ
قَرِيرَ عَيْنٍ بِوَصْلِ لَيْسَ تُسَلِّبُهُ^(٢)
قَدْ طَابَ فِي طَيْبَةِ الْغُرَا مَقَامُكُمْ
جِسْوَانٍ مَحْبُوبِنَا مَنْ كُنتَ تَرْقُبُهُ
يَاهْلُ تَرَى ! مَثَلَمَا فَرَّتُمْ أَفْوَزُ ؟ وَهَلْ
تَعْلُو سُعُودِي عَلَى نَحْسِي فَتَقْلُبُهُ ؟

(*) الأبيات بعث بها الأمير عبد القادر إلى كاتبه "قدور بن رويلة" بعدما أطلق سراحه من السجن وتوجه إلى المدينة المنورة.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ١٢، و"ت"، ص: ٤٦١ و"ص"، ص: ١١٧

(٢) في "أ" لست تسليه، وكذلك في "ت".

أهلاً بالحبیب(*)

[من الكامل]

أهلاً وسهلاً بالحبیب القادم
هذا النهار لدي خير مواسم^(١)
جاء السرور مصاحباً لقدومي
وانزاح ما قد كان قبل مُلازمي
أفديك بالنفس النفيسة زائراً
من غير مامن ولست بنادم
طالت مساعلي الركاب تشوقاً
لجمال رؤية وجهك المتعظيم
لاغروا إن احببتكم من قبل ما
شاهدتكم أنتم جمال العالم
كانت على سمعي تغار نواظري
حتى رأيتك أنت أنت مكالي^(٢)
عندي الأيادي البيض حيث أريتنني
ما كان قبلاً في يقين العالم
والآن صرّت من اليقين بحقه
وبعيني أنه السرور منادمي
أسمي قطب العارفين لك الغلا
متبوءاً منه أجل معالم

(*) عندما سمح الفرنسيون لبعض علماء المغرب العربي بزيارة الأمير في قصر أمبواز قرب باريس، زاره محمد الشاذلي القسنطيني، وهو قطب من أقطاب الصوفية، واستقبله الأمير بالقصيدة هذه.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ١٨، وت، ص: ٥٣٣، و"ص"، ص: ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) في "ت" حتى رأيتك وانت.

- W -

لا يابى الكرامة إلا (*)

[من الطويل]

نعم ولكم فضل بأشرف دعوة
غدوت بها - يا صاح - منشرح الصدر^(١)
وقد قيل : لا يابى الكرامة غير من
له عرق لؤم لم يزل في الخنا يسري^(٢)
لمجلسكم أعلى الكرامة عندنا
ولفظكم أشبهى إلينا من الدر
ورؤيتكم أجلى لهمني وإنني
غنيت بها عن طلعة الشمس والبدر
عليك تحيات القبول تكرماً
أيا واحداً - عندي يعد - بذا العصر

(*) دعا الشاذلي الأمير إلى سمر وبيع الدعوة شعراً، انظرها في ت، ص : ٥٣٣، ٥٣٤، و"ص"، ص : ١٦٢
فاجابه الأمير بالقبول مع الشكر بالمقطوعة.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ١٩، و"ت"، ص : ٥٣٤، و"ص"، ص : ١٦٢

(٢) في البيت معنى القول الماثور : لا يابى الكرامة إلا اللئيم، والخنا: الفحش والفساد.

نعمۃ الشفاء(*)

[من الطویل]

خَلِيلِيْ اَقْل : لِيْ كَيْفَ اَمْسَيْتَ ١٩ اِنْنِي
تَحَمَلْتُ حَزْناً مِنْكَ يَعْيًا لَهُ رَضْوَى (١)
لَقَدْ مَرَضْتُ اَرْوَاحُنَا وَجَسَسُوْمُنَا
لَشَكْوَاكُمُ يَا لَيْتَ لَا كُنَّا نَتِ الشَّكْوَى
فَلَا تَبْغِ اِتِّلَافِيْ فَمَّا لِيْ طَاقَةٌ
عَلَى الصَّبْرِ - يَا رُوحِي - وَلَسْتُ لَهُ اَقْوَى (٢)
وَإِنِّي لَأَرْجُو نِعْمَةَ اللّٰهِ بِالشِّفَا
عَلَيْكَ لَتَحْظِيَ بِالسَّرُورِ كَمَا تَهْوَى (٣)

(*) الأبيات قالها الشاعر عندما عاد صديقه محمد الشاذلي في مرضه ، فلم يجده في بيته، وتركها له في المنزل.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ١٩، ٢٠، و: "ص"، ص: ١٠٩ [و«رضوى» اسم جبل مشهور يُضرب به المثل] (م).

(٢) في "أ" ولست لها.

(٣) في "أ" ينعم بالشفاء. وقد رد الشاذلي على الأبيات بأخرى أولها:

«بَخْسِيْر لَقَدْ اَمْسَيْتِ وَالْقَلْبُ شَقِيْق

لِلْقَلْبِيْ اَكْمُ شَسُوْقِ الْحَبْلِ لَنْ يَهْرَى».

انظرها في المراجع المتقدمة.

ياقرة العين(*)

[من البسيط]

يا قرة العين اقل لي : كيف بتُ ا؟ فقدُ

- والله - بتُ وقلبي في لظى الحزن^(١)

مما عراكم عسى فيه أقاسمكم

او حمله كله لو كان يُمكنني

حسني يتم لنا من وصلكم غرضُ

قد طالما كنتُ راجيه من الزمن^(٢)

(*) أبيات بعثها الأمير إلى الشاذلي صديقه يسأله فيها عن صحته..

(١) الأبيات في "أ" ص : ٢٠، و "ت" ص : ٥٣٤ و "ص" ص : ٣٠٢ .

(٢) في "أ" راجية من الزمن. وفي "ت" قد كنت أمله من سالف الزمن..

الشوق يكتمه الأريب(*)

[من الوافر]

بُنِّي! لئن دعَاكَ الشُّوقُ يوماً

وَحَنَّتْ لُـقْمَا مَنَا الْقُلُوبُ^(١)

ورمتَ بأنْ تنالَ منِّي ووصلاً

يُصِحُّ بُغْيِدَهُ الْقَلْبُ الْكُئِيبُ^(٢)

فإنني منك أولى بأشتيـيـاقٍ

وناري في الفؤاد لها لهيبُ

وإن اخفني اشتيـيـاقي في فؤادي

فإن الشُّوقَ يَكْتُمُهُ الأريبُ

(*) مع غياب الشاعر الطويل لانشغاله بالجهاد، راسله ابنه باسم الأسرة متشوقاً إليه فرد على ابنه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ١٢، و: "ت" ٤٦٠، و "ص" ص: ١١٨، و "ن"، ص: ٤٨.

(٢) في "ت" سنا ووصلا.

لا تعجل بلومك(*)

[من الطويل]

فـدَيْنَاكَ لَا تَعْـجَلْ بـلـومَكَ وَانْتَظِرْ
وَحَقُّكَ إِنْ الْعَثْبُ لِلْقَلْبِ أَوْجَعُ (١)
لَعَلُّ لَنَا عُذْرًا يَدَافِعُ عَنَّا
وَصَدْرُكَ فِي تِلْكَ الْمَعَاذِيرِ أَوْسَعُ
وَإِنْ مِنَ الْأَعْذَارِ مَا لَيْسَ ذِكْرُهُ
يَلِيْقُ وَمِنْهُ مُهَجَّتِي تَقْطَعُ
وَلَسْتُ غَرِيبًا بَيْنَ قَوْمٍ أَحِبَّةٍ
مَكَانُكَ فَيَسِّرُهُمْ مِنْ بَنِي الدَّهْرِ أَرْفَعُ
فَكَمْ مِنْ حُرٍّ زَيْنٍ مِنْ بِلَائِكَ وَالْه
يَبْسُوتُ عَلَى فَرْشِ الضَّنَا يَتَوَجَّعُ
وَجَمْعِي بِكُمْ يَبْقَوْنَ جَمْعَ سَلَامَةٍ
بِدَارٍ بِهَا مَا لِلتَّفَرُّقِ مَنْزَعُ (٢)
وَجِئْتُ بِـ "لَوْلَا" فَاعْلَا لِجَوَابِهَا
عَلَى أَنَّهَا فِي النُّحُوِّ قَدْ قِيلَ تُمْنَعُ
وَإِنْ كُنْتُ لَسُّاعًا فَكُنْ خَيْرَ حَيَّةٍ
وَكُنْ نَحْلَةً تَرِيَاقُهَا السَّمُّ يَدْفَعُ (٣)

(*) رد بها على عتاب صديقه الشاذلي الذي مرض ولم يزرها، و الذي كشف عنه في أبيات بدايتها:

"مَرْضَتْ غَرِيبًا بَيْنَ قَوْمٍ أَحِبَّةٍ

فَكَلَّمَهُمْ عَنْ نَدَاتِي مُتَمْنَعٌ".

وهي في المصادر نفسها التي فيها أبيات الأمير.

(١) القصيدة في: "أ"، ص: ٢١، و "ت"، ص: ٥٢٥، و "ص"، ص: ٢٣٠، ٢٣١ وفي "أ"، و "ت" واصطبر.

(٢) وجمعي: قصد جميع إخوانه.

(٣) في "أ" غير حية.

لا ندم ولا ملامة (*)

[من الطويل]

خليلي ! لا تندم على العتبات للحب
فإن خفيف الحب أنفع بالطب^(١)
فما ذاك مكروه ولا بمحرم
بشزع الهوى بل ذاك فرض على الصب
سبيل الهوى : هجر ووصل وفرقة
وجمع وخلف بالزيارة والعتب
وهذي دواع العتبات كثيرة
لذا كان طول العتبات الرزم للحب
وقد قيل : يبقى الود ما العتب باقياً
فلله ما أحلى مقال ذوي اللب^(٢)
"إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى
فأين حلاوات الرسائل والكثب"^(٣)
وأطيب أيام الهوى يومك السذي
تروغ بالتغنى فيه وبالسب

(*) اثر رد الأمير على عتاب الشاذلي، فرد عليه الشاذلي نادماً في أبيات أولها :

سلام يفوق السك والنس عرفة يعم حمى قرم كرام الحافل

إلى أن يقول :

ندمت على ما كان مني ونادم عقيب وقوع الفعل ليس بفاعل

فلما قرأ الأمير ندم الشاذلي خفف رده على ندم الشاعر بالقصيدة "لا ندم ولا ملامة".

(١) القصيدة في ١، ص : ٢٢، وت، ص : ٥٣٦ و ص، ص : ١١٥ وفي "ت" خفيف العتب.

(٢) لي "١" وت ما العتب قد بقي، [وفي البيت إشارة إلى قول الشاعر (اللسان ع ت ب) :

إذا ذهب العتبات فليس ود ويبقى الود ما بقي العتبات

ويقول الأمير عبدالقادر «ما العتب باقياً» فمن جهة النحو «ما» هذه تعمل عمل ليس وتفيد النفي وتسمى

الحجازية. ومراد الشاعر «ما» المصدرية الظرفية. فهو يقول: إن الود يبقى ما دام هناك عتاب [م].

(٣) البيت مضمن (م).

يا كثير البعد (*)

[من مجزوء الرمل]

يَا مَوْلَا لَا يُمَلُّ

كَيْفَ كَانَ الْيَوْمَ حَالُكَ (١)

يَا كَثِيرَ الْبُعْدِ عَنَّا

كَانَ كَالْغَدْرِ ارْتَحَالُكَ

كُنْتُ مِنْ ذَا فِي أَمْرِ

فَبَدَا الْيَوْمَ مَحَالُكَ (٢)

(*) تحسنت صحة الشاذلي فغادر المستشفى دون علم الأمير، فلما عاد ولم يجده بعث إليه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٢، و"ت"، ص : ٥٣٦، ولم تثبت عند صيام. وفي "ت" لا يمل، وأثبتنا ما فيه.

(٢) وقد رد الشاذلي على الأبيات باخرى عن الأمير، وهي مثبتة في المصادر المتقدمة، [ومحال مصدر ماحله
اي كايده وعاداه] (م).

ترك العادة ذنب(*)

[من الطويل]

سلامٌ عليكم دائمٌ متتابعٌ
له نَفْحَةٌ من دونهَا المسكُ والعطرُ^(١)
وبعدُ لَعُذْرٍ قد قطعْنَا عوائدُ
تعوُّذُهَا يا أيها الماجدُ الحرُّ
والأفانباتُ الرغائبِ شرعْنَا
نرى تركَهَا ذنبًا له يُطلبُ الغفرُ
ولو انني قاسمُكم كلُّ مالنا
كما قاله الأنصارُ والفاضلُ الحَبيرُ^(٢)
لما جئتُ في معشارِ عشرِ حقوقكم
ولو كانَ ذا شيئاً يؤدي به شكرُ

(*) اعتاد الأمير دعوة أصحابه إلى طعام حتى عودهم ذلك، ثم تخلص من تلك الدعوة فعاتبه الشاذلي في ذلك، الأبيات تبدأ بقوله:

«فرضتم عليكم للمقيم سنة تؤدونها بعد الفراغ من الفجر»

فرد عليه الأمير بابياته المعنونة بـ «ترك العادة ذنب».

(١) الأبيات في ٦، ص: ٢٣، وت، ص: ٥٣٧، ص: ١٧١.

(٢) الأنصار: أراد موقف الأنصار من المهاجرين في المدينة المنورة.

الجوع برّاني (*)

[من الطويل]

أما أن للخلّ المريض بأن يبـرّاً ١٩
 فإنّ صحیح الجسم منه شكاً الضراً^(١)
 توالّت عليه جوعاً بعد جوعاً
 أخوكم لها قد صار كالقلم المبرّاً^(٢)
 به وكل الجوع المعطل للقوى
 فله ما انكاه قيناً وما أجراً^(٣)
 إذا نمت أمسى لي ضجيعاً ملازماً
 وإن قمت أضحى كالغريم بنا مغرّى
 وقد عشت أياماً بظلّ جنابكم
 فله عيش ما الذّ وما أمراً
 إلى أن دهاناً الدهر يوماً بجسده
 بعبادات بين ما أحد وما أفرى^(٤)

(*) التزم الشاذلي بالحمية طلباً للشفاء من مرضه فتضامن معه الأمير تخفيفاً عنه، ولما طال الأمر، اشتكى الأمير ذلك إلى صديقه الشاذلي داعياً له بالشفاء العاجل حتى يحرر من الحمية التي اتعبته، [وعبر الأمير عن ذلك تعبيراً لطيفاً نثراً ونظماً في تحفة الزائر: ٥٣٧] (م).

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٢٣، ٢٤ وت، ص: ٥٣٧، و، ص: ١٦٦، ١٦٧

(٢) يريد: كالقلم المبرّي والفعل منه: برى - يبرى.

(٣) في "ت" المضعف للقوى و: انكاه: ما أشده [ما أجرا، مسهلة الهمزة واصلها: ما أجرا. ثم حذف الهاء: ما أجراه] (م).

(٤) في "ت" يحده، وأفرى: قطع. وقد رد الشاذلي على قصيدة الأمير بآبيات هذا مطلعها:

«خليلي لا تجزع من الجوع إنه إلى كل معتل هو الغاية الكبرى»

وهي مثبتة في مصادره المعتمدة هنا.

ففرقنا جمعاً وكدر صفونا
وجوعنا جوعاً فقدنا له الصبراً
فإن شئت فلتببراً لعلك مدركي
وإلا فإن الجوع قد هيا القبراً
بهذا أشرار الناصحون لعلكم
ترقون أو تأتي لنا منكم البشري

زكاة العلم(*)

[من البسيط]

أنت مهنئة فليهن مهديها
 جلّت تراكيبها دقت معانيها^(١)
 تدل بالحسن والإدلال حق لها
 فما حوت مثلها يوماً مغانيها^(٢)
 ودياً في الجسم من أنفاسها طرب
 دبيب حبي لهذا الخير منشئها^(٣)
 ليهنئنا بك عيداً أنت شاهدة
 عيد النفوس إذا نالت أمانيتها
 يا يوسف ردّ لي من قـريكم نظراً
 كرده بقميص أنت مهديها^(٤)
 لينشرح صدرك المملوء من حكم
 وطيب النفس: شهّيتها ومثيها

(*) نظم الأمير قصيدة "زكاة العلم" إجابة لـ "يوسف بدر الدين المغربي"، الذي نظم قصيدة شكر فيها الأمير على شرائه دار أوقاف كان قد استوطنها "يوسف"، واغتصبها منه رومي ادعى أنه مالكا، فاشتراها الأمير، ووقفها من جديد، وسلمها للمغربي يوسف، ومطلع قصيدة يوسف:
 «بك المسيرة قد نالت أمانيتها
 يا نعممة مالها شيء يدانيها
 إن كان عيداً لها تهنا بموسمها
 فالعيد كـونك يا أقصى أمانيتها»

- (١) القصيدة في "١"، ص: ٣٨، وت، ص: ٦١٦، ٦١٧ و، ص: ٣١٥، ٣١٦
 (٢) المغاني جمع المغنى وهو المنزل والدار. يقول: هي قصيدة لا نظير لها حسناً (م).
 (٣) في "١"، لهذا الخير.
 (٤) أراد رد بصر يعقوب بقميص يوسف عليه السلام.

فـانـتَ بـيـنَ اَخرِ اَلاعـلـهـمُ اَربُ
تَبَقَى وَإِنْ مَاتَ قاصِيها ودانيها^(١)
ولتـعـطـيـنـا مـن زكـاةِ العـلـمِ واجـبـةً
انـتَ المـشـيـدُ دارَ العـلـمِ بانيها
ابـقـاكُ ربُّ العـلـا في نـشـرِ حـكـمـتِها
رغـمًا لأنـفِ مـعـادِيها وشـانِيها^(٢)

(١) ارب : غاية ومطلب.

(٢) في "ت" لنشر حكمته.

أنا مخلص للود شاكر(*)

[من الكامل]

أحلى المديح مديحُ خلِّ فاخر
أقواله تنبي كدرٌ باهر: (١)
عمُّا أجنُّ من الودادِ جنائهُ
الفاظهُ تثرى كشهدٍ قاطر (٢)
تكسُّو الملاحه والطلاوة وجهها
فالودُّ من أرجائها كالعاطر
يا صاح! خاتمة الأفاضل كلُّهم
من كلِّ شهم كاتبٍ أو شاعر
عندي لكم بين الضلوع مودة
محفوظة ومصونة للغابر
كن كيف شئتَ فانتَ أنتَ أميئتها
ما بين يادي غربيها والحاضر
الدُّرُّ إلا مـــــا اتأنا منكم
أنا مخلص للود، أولُ شاكر

(*) للشيخ أمين الجندي ، مفتي الشام، قصيدة في مدح الأمير، وصدرها:

«أمولاي يا من غدا مفرداً

بمجد له الله قدرا أمّله

ويا سيد الناس في عصره

وأوفى كريم لمن أمّله»

فلما اطلع عليها الأمير رد عليه بمقطوعة «أنا مخلص للود شاكر» [وفي «تحفة الزائر» ٢: ٦١٨-٦١٩ أن

هذه المقطوعة رد على قصيدة الشيخ أمين الجندي التي مطلعها:

كهف الدخيل وملجأ للحائر [م].

دار الأمير الشهم عبدالقادر

(١) المقطوعة في ١، ص: ٣٩، و٢، ص: ٢٠٥، ٢٠٦ وفي «تأقواله تترى بنى» [ورواية تحفة الزائر أعلى واحسن] (م).

(٢) أجن: أخفى. وتثرى: متتالية.

أنفاس أحبابي تحييני

[من البسيط]

بديعة الحسن بالأضْحَى تهنيني
تزهُو بحسن عالٍ من غير تزيين^(١)
تميس كالغصن إذ مرَّ الشمالُ بهِ
أو شاربٍ ثملٍ من خمـرٍ دارين^(٢)
تراه نشوانٍ إذ دبَّ الشمـولُ بهِ
يميلُ من طربٍ مـسيلِ الرياحين
هيفاءً يبدو لنا من وجهها قمرٌ
من سُحْبٍ فاحمٍها بانت بتلوين
ترمي بالحافظها عن قوسٍ حاجبها
تصيبيني ثمَّ تسببيني وتكويني^(٣)
وقد بدت لي طلوعَ الشمسِ مسفرةً
فطالَ تردادُ عيني بين شمسين^(٤)

(*) امتدح "مصطفى شلبي البغدادي" الأمير في عيد الأضحى لما بينهما من صداقة ومحبة، فرد الأمير على البغدادي بقصيدته "أنفاس أحبابي تحييني".

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٩، ٤٠ وت وت وت، ص: ٣٠٣، ٣٠٥ ومعنى البيت يشير إلى قصيدة الشاذلي المهنتة بالعيد.

(٢) في "أ" درايتي، والشمالية: الريح القادمة من الشمال، ودارين: قرية في البحرين يجلب إليها المسك من الهند وكان يباع فيها الخمر.

(٣) في "أ"، وت تسببيني وتلويني. وقد شبه اللحظ بالسهم والحاجب بالقوس والنظرة اللاحقة بانطلاقة السهم عن قوسيه تصيبه فتجرحه وتكويه.

(٤) قارن بين الشمس الحقيقية وحبيبته المشرقة، فاحترار بينهما تأملًا وإعجابًا، [في هذا البيت والبيت الثالث عشر عيب في القافية وهو اختلاف حركة ما قبل الياء أو الواو وهو: سناد الحد] (م).

ولست أدري أسكري من نوافجها
 أم تلك أنفاسُ أحبائي تحييني؟^(١)
 أحبتي الكُم صفو الوداد كَمَا
 محضتموني ودًا ليس بالدون^(٢)
 لآ زلتُم منهـلاً تحيَا العطاشُ به
 ومنزلاً لعفاة الخلق في الحين^(٣)
 أحيا إلهي أحبائي وزاد لهم
 فضلاً وانزلهم أعلى العليين
 واحفظ إلهي ما أوليتهم كرمًا
 وقسّر أعينهم : دنيا مع الدين
 ودافع السوء عنهم يا إلهي ولا
 تجعل سبيلاً عليهم للمُعادين^(٤)
 واجعل سرورهم صفواً بلا كدر
 واجعل زمانهم أيام عيدين
 واسترهم برداء الحفظ يا أملي
 بحرمة السر : بين الكاف والنون^(٥)
 بجاه خير الورى والتابعين له
 آمين ! آمين ! يا ذا الفضل لبيني

-
- (١) في "أ"، من نوافجها، والنوافج أوعية تستعمل لحفظ المسك والعنبر.
 (٢) في "أ" كما امحضتموني بود.
 (٣) العفاة : من الناس من يطلبون العطاء من غيرهم، في "ت" وزد لهم.
 (٤) في "أ"، و"ت" وادفع السوء وهو ما لا يستقيم معه الوزن، وكسرت نون «المعادين» لتناسب القافية.
 (٥) في البيت معنى الآية : «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» يس ٨٢ .

رباط الود مشتد (*)

[من الطويل]

أما والذي تعنو لهيبته الورى
وجل اعستـزازاً أن يكون له ند^(١)
لأنتم وإن شط المزار بشـخصكم
أود من القـربى وأدنى إذا غـدوا
فكم من بعيد الدار نال مرادة
وكم من قـريب الدار ما ناله ود
ألا فلتطب نفساً بطيب وداينا
فإن رباط الود تال له مشتد

(*) رد بالابيات على ابن عمه "الطيب بن المختار" الذي مدحه بقصيدة مطلعها :

«أكل خليل لا يدوم له عـ»

أم انفـرت في حل ما عـقت مند؟

(١) الابيات في "أ"، ص : ٤١، و"ص"، ص : ١٥١

يراع ينفت سحرًا(*)

[من الطويل]

أتاني كتاب لا يملُ سماعُهُ
كتاب كوشي الروض تزهو بقاءُهُ^(١)
يزيدُ على التردد طيباً ولذة
يعزُّ علينا طرخُة ووداعُهُ
يدبُ دبيبُ الخمر في جسم سامعٍ
فيطربنا إسماعُهُ وسماعُهُ^(٢)
كتاب أتاني حافظُ الود واقياً
وإن الوفا أضحت يباباً رباعُهُ^(٣)
كتاب أبي النصر الذي فاق منطقاً
وينفت سحرًا بابلياً يراعُهُ^(٤)
فلا زال في أوج الكمال مخيماً
يضيء علينا نوره وشعاعُهُ
ولا زال من يحيي الذمار بعزُّم
ولو جمعوا ما يستطاع دفاعُهُ^(٥)

(*) بعث بالقصيدة إلى الشيخ "أبي النصر الطرابلسي" رداً على قصيدة مدحه له، وأولها :
«ميفاء قد نضجت بمسك عاطر
كيمما تقبل ذيل عبد القادر
من آل بيت قد غدا سفن النجاة
لن التمسجسا من لج بحر زاخر»

(١) القصيدة في "١"، ص ٤١، ٤٢ و"ت" و"ص"، ص : ٢٢٧، ٢٢٩

(٢) يعني أن الموسيقى غنية، والإيقاعات مطربة.

(٣) اليباب : الخراب والقر [والرباع جمع الربيع : الدار] (م).

(٤) بابلياً : نسبة إلى مدينة بابل بالعراق.

(٥) في "١" و"ت" حامي الذمار.

ولا زال محجوج الأفاضل كعبه
وممدوحة أفعاله وطبائع^(١)
ولا زال سيارا إلى الله داعيا
بعلم وحلم ما يضم شراعه
ولا زال للعلياء أرفع راية
وبشراه مبذول لنا ومتاعه
فأبقاه من رقاء عين زمانه
وحامل كل الكل منا وساع^(٢)

(١) محجوج : يحج إليه لفضله.

(٢) رقاء : هنا اعلى مكانته.

لن يبرأ(*)

[من الكامل]

أقولُ على صدقٍ لأهل النُّهى طُرّاً
ولستُ بمستثنٍ لئيمٍ ولا حُرّاً: (١)
ألا خبِّروني ! أين ضلّت عقولُكم
وكلُّكم يستهجنُ الشرَّ والضرّاً
ويغفلُ عنه وهو منتبِّهٌ له
ويطلبُ هذا الشرَّ أعظمَ به شرّاً
وحينئذٍ يقلّاهُ كلُّ صاحبٍ
ومن مسَّ هذا الضرَّ هيهات أن يبرأ (٢)

(*) الأبيات لغز بها الأمير في الشيب والكبر وكان لها صدى في عصره فعارضها بعض الشعراء آنذاك.

(١) الأبيات في "آ"، ص ٥١ و"ص"، ص: ١٦٠، ١٦١

(٢) في "آ" يقلّوه، وكل مواده. ويقلاه: يجفوه، ويبغضه.

[REDACTED]

د. مناسبات

طال ليلى، يا أحبائي (*)

[من الكامل]

يا سـواءَ العين يا روحَ الجـسد
يا ربيعَ القلب يا نـعم السـند^(١)
كنت لي قـرة عين وبهـا
هـام قلبـي لا بمـال وولـد^(٢)
فرمى الدهر بعيني أسـهـمـاً
مـذ نـائـم لا أرى فـيـهـا احـد
أبرق الطرف شـيء بـعـدكم^(٣)
لا ورب البيت في هـزل وجـد
مـذ ترحلتم أذبتـم مـهـجـتي
ودموعي فائضات من كـمـد
فني الصـبر ولم يقن الجـوى
ما أراه فـانـيـاً حـتى الأبد^(٤)
وذوى ما كان رطباً يـانـعـاً
ووهى العظم ولم يبق الجـلد^(٤)
مـذ تـواريتـم تـوارى فـرحـي
ما يسر القلب في أخـذ ورد

(*) بعد الآثار الناجمة عن ضراوة المعارك مع العدو الفرنسي، اضطر مجاهدون من جيش الأمير إلى الفرار، فتوجه بعضهم إلى المغرب الأقصى ومنهم إخوانه : سعيد ومصطفى وحسين وإليهم بعث القصيدة سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٦، ٧ و"ت"، ص : ٤٢٢، ٤٢٣ و"ص"، ص : ١٤٩، ١٥١، "ن"، ص : ٤٩، ٥٠

(٢) في "ت" لاح قلبي.

(٣) في "أ"، و"ت" قد فنى صبري.

(٤) في "أ"، و"ت" وانزوى ما كان.

فحياتي بعدكم منذ غبتكم
 من مجازٍ مرسلٍ عندي يُعدُّ
 طال ليلى يا أحبُّباي! ولا
 يعلمُ الحالَ سوى الفردِ الصمد^(١)
 كم أنادي حين يبدو صببُ حُة
 يا سعييد^{١٢} هل خيالُ لي يُردُّ^{١٢}
 فتردُّ الروحُ للجسمِ ويا
 مصطفَى! هل من دواءٍ للكميد^{١٢}
 شاقني حبُّ حسينٍ شاقني
 ما لحكمُ الله في القلبِ مرد^(٢)
 هل يجودُ الدهرُ من بعدِ النوى
 باقترابٍ^{١٢} يُحيي ميتًا لم يعد
 فإذا لي تمُّ ما أمْلئُ حُة
 عاد إنساني وروحي للجسد
 يا ذوي القربى! قريباً من أب
 أنتم نخزري وكنزي والسند
 لي كوئوا مثلما كان الأولى
 سلفُوا لي أهلَ سعي لا يرد
 فإذا ما أقبلتُ فلتبذلوا
 وإذا ما أدبرتُ فارضوا بود
 وعليكم من سلامٍ صيب
 طيبٌ يترى إلى غيرِ اميد^(٣)
 يشملُ الأحبابَ أنى قد ثووا
 كل حبٍّ لي هو الصنُّو الأود^(٤)

(١) في "ت" يا أحبائي.

(٢) في "١" وت في الخلق مرد

(٣) صيب : ثابت، دائم، ويترى: يتوالى، يتتابع. [واستعمال «يترى» هكذا لم يصح] (م).

(٤) ثووا : ثبتوا واستقروا. والصنو يطلق على الأخ الشقيق.

تحصنتُ لا خوفاً من الموت (*)

[من الكامل]

السَّهْ اعْلَمْ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ
مَنْنِي عَلَى الْأَمْرِ الطَّوِيلِ دَلِيلًا^(١)
كَلَّا وَإِنْ مَنَنْتِي لِقَرِيبَةٍ
مَنْنِي وَأَصْبَحُ فِي التَّرَابِ جَدِيلًا^(٢)
وَرَضْنَا إِلَهَهُ هُوَ الْمَنَى وَيَكُونُ مِنْ
بَعْدِي انْتِفَاعُ الْخَلْقِ ثُمَّ طَوِيلًا^(٣)

(*) قرر الأمير تشييد حصن تازة، فأنجز في أمد قصير، وفيه نظم الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٦، و"ت" ص : ٣١٣، و"ص"، ص : ٢٨٤، وفي "ت" على الأمل.

(٢) الجديل : القتل المخرج بدمائه.

(٣) في "ت" ليكون وثم : هناك.

الباذلون نفوسهم(*)

[من الكامل]

يا أيها الريح الجنوبُ ! تحملي
مني تحية مفرم وتجملي^(١)
واقْرِ السلام أهيل ودِّي وانثري
من طيب ما حملت ريح قرنفل
خلِّي خيام بني الكرام وخبري
أنِّي أبيت بحرقـة وتبلبل^(٢)
جَفَنِي قـد ألفا السهاد لبينكم
فلذا غدا طيب المنام بمعزل^(٣)
كم ليلة قد بثها متحسرا
كم بيت أرمـد في شقا وتمل
سهـران ذو حزن تطاول ليلة
فمـتَّى أرى ليلي بوصلي ينجلي ؟
ماذا يضرُّ أحبُّتي لو أرسلوا
طيف المنام يزورني بتمـمـل ؟
كلُّ الذي القاه في جنب الهوى
سهلٌ سوى بئن الحبيب الأفضـل

(*) أشاع الفرنسيون أن الأمير عبد القادر قد قتل ليفزعوا جيوشه في جبال "جرجرة" الواقعة في شمال الجزائر، ولما علم بذلك بعث بالقصيدة إلى جيوشه غير أنه بتلك الإشاعات.

(١) القصيدة في "أ"، ص ٨، ١١، وت، ص : ٣٤٣، و، ص : ٢٧٤، ٢٨١ .

(٢) في "أ" وت، حلي.

(٣) في "أ"، ت، جفني لقد ألف السهاد.

أَذِي الْأَمْسَانَةَ يَا جَنُوبًا ۚ وَغَايَتِي
فِي جَمْعِ شَمْلِي يَا نَسِيمَ الشَّمَالِ ۚ
وَاهْدِي إِلَى مَنْ بِالرِّيَاضِ حَدِيثَهُمْ
أَذَكِّي وَأَحْلِي مَنْ عَبِيرَ قَرْنُفُلٍ
تُهْدِي إِلَيَّ طَرَائِفًا وَظَرَائِفًا
وَلَطَائِفًا بِتَعَطُّرٍ وَتَعَسُّلٍ
حَاوَلْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ عَنْهُمْ قِيلَ لِي :
مَهْ ۚ إِذَا مُحَالٌ وَيَكْ عَنْهُ تَحْوِيلٌ (١)
كَيْفَ التَّصَبُّرُ عَنْهُمْ ۚ ! وَهُمْ هُمْ
أَرِيَابُ عَهْدِي بِالْعَقُودِ الْكَمَلِ ۚ
أَيَحُلُّ رِيْبُ الدَّهْرِ مَا عَسَقَدُوا ۚ وَكَمْ
حَلَّتْ عَقُودِي بِالْمَنَى الْمُتَخَيَّلِ ۚ
تَقْدِيهِمْ نَفْسِي وَتَقْدِي أَرْضَهُمْ
أَزَكِّي الْمَنَازِلَ يَا لَهْـمَا مِنْ مَنْزِلٍ ۚ
أَفْدِي أَنَاسًا لَيْسَ يَدْعَى غَيْرَهُمْ
حَاشَا الْعَصَابَةَ وَالطَّرَازِ الْأَوَّلِ (٢)
يَكْفِيهِمْ شَرْفًا وَفَخْرًا بَاقِيًا
حَمَلُ اللَّوَاءِ الْهَشَاشِمِيُّ الْأَطُولُ
قَدْ خَصَّهُمْ وَاخْتَصَّهُمْ وَاخْتَارَهُمْ
رَبُّ الْأَنَامِ لَذَا بِغَيْرِ تَعَمُّلٍ
هُمْ بِالْمَدِيحِ أَحَقُّ لَكِنْ رُبَّمَا
ضَاعَتْ حَقُوقُ بِالْعَدَا وَالْعَذْلِ
إِنْ غَيْرُهُمْ بِالْمَالِ شَحٌّ وَمَا سَخَا
جَادُوا بِبَذْلِ النَّفْسِ دُونَ تَعَلُّلٍ

(١) مه : اسم فعل أمر ومعناه اكفف.

(٢) البيت على صلة بقول حسان بن ثابت : تَشَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ [وقوله لِلَّهِ بَرَّ عَصَابَةَ نَادِمَتِهِمْ] (م).

الباذلون نفوسهم ونفسيهم
 في حباً مـالكنا العظيم الاجل
 كم يضحك الرحمن من فعلاتهم
 يوم الكريهة انعم فعل الكمل (١)
 الصادقون الصابرون لدى الوغى
 الحاملون لكل ما لم يُحمل
 إن غيرهم نال اللذائذ مسرفاً
 هم يستغنون قراع كتب الجحفل (٢)
 وألذ شيء عندهم لحم العدا
 ودمساؤهم كزلال عذب المنهل (٣)
 النازلون بكل ضنك ضيق
 رغماً على الأعداء بغير تهول
 لا يعرف الشكوى صغير منهم
 أبداً ولا البلوى إذا ما يخطلي
 ما منهم إلا شجاع قارع
 أو بارع في كل فعل مجمل
 كم نافسوا كم سارعوا كم سابقوا
 من سابق لفضائل وتفـضل
 كم حاربوا كم ضاربوا كم غالبوا
 أقوى العداة بكثرة وتمول
 كم صابروا كم كابروا كم غادروا
 اعنّى اعدائهم كعصف مؤكل (٤)

(١) كم يضحك الرحمن : أراد رضا الله سبحانه، والكريهة : الحرب الشديدة.

(٢) الجحفل : الجيش الكثير المدمج [وقوله كتب الجحفل؛ كأنه يريد الكتاب. ولم يرد جمع كتيبة على كتب، كما في هذا البيت] (م).

(٣) يريد استباحة نساءهم (قتلهم) في المعارك (م).

(٤) في "أ" و"ت" أقوى اعدائهم [وقوله كعصف مؤكل، أراد: كعصف مأكول، ولم يستقم له القول] (م).

كم جاهدوا كم طاردوا وتجلدوا
 للنائبات بصارم وبمقول^(١)
 كم قاتلوا كم طاولوا كم ماحلوا
 من جيش كفر باقتحام الجحفل^(٢)
 كم ادلجوا كم ازعجوا كم اسرجوا
 بتسارع للموت لا يتمهل^(٣)
 كم شردوا كم بددوا وتعدوا
 تشتيت كل كتيبة بالصيقل^(٤)
 يوم الوغى يوم المسيرة عندهم
 عند الصياح له مشوا بتهلل^(٥)
 قدمائهم وسيوفهم مسفوحة
 ممسوحة بثياب كل مجندل
 لا يحزنون لهالكربل عندهم
 موت الشهادة غبطة المتحول^(٦)
 ما الموت بالبيض الرقاق نقيصة
 والنقص عندهم بموت الهمل^(٧)
 يا رب! إنك في الجهاد اقمتهم
 فبكل خير عنهم فتفضل

(١) الصارم : السيف. المقول : اللسان.

(٢) في "ا" و"ت" كفر شبه موج يعتلى. وبعد البيت هذا آخر في "ا" و"ت" وهو مفقود في نسخة "حقي"، والبيت هو :

كم ثبتوا، كم بتتوا، كم شتتوا شمل الكوافر باقتحام الجحفل،

(٣) ادلجوا : ساروا ليلا.

(٤) الصيقل: الذي يسن السيوف ويجلوها. والشاعر أراد «الصقيل»: السيف، ولم ينضبط له فقنم في الكلمة وأخرا (م).

(٥) في "ت" عند الصباح.

(٦) في "ا" غبطة المثل، وفي "ت" غبطة المثل.

(٧) البيض الرقاق : السيوف الحادة. [الهمل: كذا وريت، وهي غريبة، وهو يريد الهمل؛ غير مشددة] (م).

يَا رَبُّ يَا رَبَّ الْبَرِّ يَا زَاهِمُ
 صَبِـرًا وَنَصِرًا دَائِمًا بِتَكْمُلِ
 وَافْتَحْ لَهُمْ مَوْلَايَ افْتَحًا بَيْنًا
 وَاغْفِرْ وَسَامِحْ يَا إِلَهِي عَجَلِ^(١)
 يَا رَبُّ يَا مَوْلَايَ وَابْقِهِمْ قَدْى
 فِي عَيْنٍ مِنْ هُوَ كَافِرٌ بِالْمُرْسَلِ^(٢)
 وَتَجَاوَزَنَّ مَوْلَايَ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ
 وَالطَّفَ بِهِمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْزِلِ
 يَا رَبُّ يَا وَاشْـمَلْهُمْ بِعَفْوِ دَائِمِ
 كُن رَاضِيًا عَنْهُمْ رَضًا الْمُتَقَضِّلِ
 يَا رَبُّ لَا تَتْرُكْ وَضِيْعًا فِيهِمْ
 يَا رَبُّ يَا وَاشْـمَلْهُمْ بِخَيْرِ تَشْمُلِ
 مَتَّوْسُلًا مَوْلَايَ فِي ذَا كُلِّهِ
 مَتَشَفِّعًا بِشَفِيعِ كُلِّ مَكْمُلِ
 وَجْهَتُ وَجْهِي فِي الْأُمُورِ جَمِيعِهَا
 لِمَحْمَدٍ غَيْثِ النَّدَى الْمُسْتَرْسِلِ^(٣)
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَحَّ الْحَيَا
 وَالْأَلِ مَا سَيَفُ سَطًا فِي الْجَحْفَلِ^(٤)

- (١) وافتح... فتحاً بيناً : مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الفتح ١ .
 (٢) القذى : ما تلقى به العين من الأوساخ . [وقول الشاعر «وابقهم» فيه ضرورة لأنه حذف همزة القطع] (م).
 (٣) وجهت وجهي : من قوله تعالى : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الأنعام ٧٩ .
 (٤) الحيا: المطر، و: سَحَّ سال وانهمر؛ و: سطا: صال ووثب وغلب (م).

عذاب الأسر(*)

[من الكامل]

ماذا على ساداتنا أهل الوقفا
لو أرسلوا طيف الزيارة في خفا^(١)
يترصّد الرقباء حتى يغفلوا
ويكون مانع وصلينا ليلاً غفا
فإذا تمكنت الزيارة خفية
يأتي مواعد وصلينا متلطفا
ويكون قبل حلوله أفرش ثمة
خدّي وطاء للنعال وللحفا
ويكون بيت نزوله قلبي الذي
- وحياتهم - من حب غيرهم عفا
ضيف له نزل لدي كرامنة
كبد شواها البعد في جمر الجفا
يا سعد ! إن كنت البشير بوصله
فلقد أتيت على المسيرة والوقفا
لو أن نفسي لي إليك بذلتها
وأراه بذل مقصّر ما أنصفا^(٢)
وتكون يا سعد المساءد للذي
- من هجر من يهواه - صار على شفا
لم يُبق يوم البين والهجر - الذي
خلقنا لتعذيب الأحبة مسعفا

(*) في أسره كان الأمير كثيراً ما يلتجئ إلى التوسل للتخفيف عن نفسه والقصيدة تذهب هذا المذهب.

(١) القصيدة في ٦ ص : ١٣ - ١٤، وت، ص : ٥٥٤، ٥٥٦، ون، ص : ٢٣٧، ٢٤٢ ون، ص : ٥١، ٥٣،

وساداتنا أراد بهم علماء الصوفية.

(٢) في ٦ واراها.

إِلَّا صُيَابَتُهُ وَجَسَماً قَدْ غَدَا
 مَلَقَى كَشَنُ بِالْفَلَا لَنْ يُخْصَفَا (١)
 زَفَرَاتُ قَلْبِي جَمْرُ نَارٍ أَجْجَتْ
 مِنْهُ دَمَوْعُ الْعَيْنِ فَاَضَتْ ذُرْقَا
 بِمَحَاجِرٍ مِنْ حَاجِرٍ أَقْذَاءُ قَدْ
 طَرَدَتْ ضَيُوفَ الطَّيْفِ جَاءَتْ طُوقَا (٢)
 هَلْ مِنْ مَنَامٍ لِلْدَيْغِ بِمَرْقٍ
 فَضْلاً عَنْ الْمَرَاتِ أَوْ هَلْ مِنْ غَفَا ١٩
 مَا إِنْ تَأَلَّقَ بَرْقُ سَنَعٍ وَالْحَصَمَى
 حَتَّى تَفِيضَ النَّفْسُ مِنْهُ تَأْسُفَا (٣)
 وَأَرَادَ سَيْفَا صَارَماً وَسَطَ الْحَشَا
 فَعَلَ الْأَقَاعِي، أَوْ شَهَاباً مَا انْطَفَا
 يَحْكِي زَفِيرِي رَعْدَهُ وَرِيَاخَهُ
 وَيُوبِلُهُ حَاكِي دَمَوْعِي الْوَكُفَا (٤)
 وَإِذَا جَرَى ذِكْرُ الْعَقِيقِ وَأَهْلِهِ
 أَجْرَى الْعَقِيقِ تَأْسُفَا وَتَلْهُفَا (٥)
 يَا أَهْلَ طَيْبَةَ ! مَا لَكُمْ لَمْ تَرْحَمُوا
 صَبَباً غَدَا لَنُؤَالِكُمْ مُتَكَفُّفَا ١٩ (٦)

(١) الشن : القرية الصغيرة. والصيابة : البقية، والخصف : إصلاح الحال بعد الفساد، أو ترقيع ما أصيب بثقوب.

(٢) المحاجر جمع المخجر وهو من العين: ما دار بها، وبدا من البرقع، أو ما يظهر من النقاب. وحاجر موضع في ديار بني تميم ذكره الشعراء كثيراً، قال الأعشى:

شأقتك من (قتلة) أطلالها بالشطفا لوتر إلى حاجر (م)

(٣) في 'ت' مهما تألقوا فيها، وفي 'ت' كانت تفيض. وطلع : موضع في الحجاز ولعله أراد به المسجد النبوي الشريف.

(٤) الويل : المطر الغزير.

(٥) العقيق الأولى موضع عند المدينة ذكره الشعراء كثيراً (مع أعقة أخرى أيضاً) والعقيق الثانية: الحجر الأحمر المعروف وجاء به مجازاً ليقول: إنه يبكي بدموع كالعقيق أو يبكي دماً (م)..

(٦) طيبة : من أسماء المدينة المنورة. والمتكفف : الناشد المستعطي.

لا تجمَعُوا بين الصدودِ وبُعديكم
 حسبي الصدود عقوبةٌ فلقد كفى
 لم أذّر شيئاً قبلَ معرفةِ الهوى
 حبّي لكم ما كان قطّ تكلفاً
 ما بالهمّ يا صاحٍ لم يتذكّروا
 صبّاً كئيباً في المحبّةِ مدنفاً^(١)
 ما قيل : ذاك أسيرنا وقتيلنا
 بين العوادي والأعادي مثقفاً^(٢)
 قلبي الأسيرُ لديكم والجسمُ في
 أسرِ العداةِ معذباً ومكثفاً
 حاشاكم لجميل ظني فيكم
 أنْ تُشْمِثُوا في العدوِّ المزجفاً
 ولطاماً لام العدوِّ بحدبكم
 وأطالَ عتبي ناصحاً ومعنفاً
 ولكم سعى كيماً يصرفاً وجهتي
 عن وجهِ وديكم ولم يكُ مصرفاً
 ويودّ لو أني سلّوتُ هواكم
 فيكونُ لي خيلاً وفياً منصرفاً
 قلبُ الشجيّ كفاً علمتم إنّه
 لا ينلني عن حبكم متخوفاً

(١) مدنف : متهاك في حبه.

(٢) العوادي : المصيبة. مثقف : طريح من جرح، أو مثخن بجراحه.

يَبْغِي الوَصَالَ وَلَوْ تَمَزَّقَ تَالِفًا
وَيَلْذُ أَنْ يَلْقَى الْعَذَابَ وَيَتَلَفًا^(١)
يَسِيرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ عَدَاثُهُ
وَيَسِيرُ لَوْ كَانَ النَّهَارُ الْمَرْهَفًا^(٢)

(١) فِي ت' وَيَلْذُ بِالتَّعْذِيبِ إِنْ يَكُ مَتَلَفًا.
(٢) الْمَرْهَفُ : السِّيفُ، الْحَادِ الْقَاطِعُ.

يا سيدي! يا رسول الله!!

[من البسيط]

يا سيدي! يا رسول الله! يا سدي!
ويا رجائي! ويا حصني! ويا مددي^(١)
ويا ذخيرة فقري! يا عيادي! يا
غوثي! ويا عدتي للخطب والنكر^(٢)
يا كهف ذلي! ويا حامي الذمار! ويا
شفيعنا في غدر! أرجوك يا سدي^(٣)
لا علم عندي أرجئيه ولا عمل
امام نجواي من هدي ومن رشدر
أبقي رضاك ولا شيء أقدمه
سوى افتقاري وذلي واصفرار يدي^(٤)
إن انت راض فيا فخري ويا شرفي!
ماذا علي إذا واليت من احدر^(٥)

(١) المقطوعة في ٦٢، ص: ١٤، ١٥، ونص: ص: ١٤٢، ١٤٣

(٢) يا عيادي، العوذ: الالتجاء، والاحتماء، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق: ١

(٣) الذمار: كل ما يلزمك حمايته وحفظه. ويقال: "هو حامي الذمار" إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعُتِف.

(٤) اصفرار اليد: أراد ضعفه، وعدم امتلاكه القوة. [يقال: فلان صِفَر اليدين. واستعماله المصدر (اصفرار)

هنا غير مناسب] (م).

(٥) في ٦٢ عن كنت راض [ومجيئه بـ «إن» الشرطية في الجملة غير مناسب] (م)..

أعزني قلباً (*)

[من الطويل]

ألا إن قلبي يومٌ بنقمتُ وسـررتُ
غدا حائماً خلفَ الظُّعُونِ يطيرُ^(١)
يقاسي مرارَ الموتِ من ألمِ الجوى
فمـا لي إلا أنةٌ وزقـيرُ
رحلتُ وسرقتُ لو رحمتُ ! فبيـنكم
لخطبي يومٌ للبلاء عـسيرُ^(٢)
وكنـتُ ليـومَ البينِ أعددتُ عدـةً
وفي الظنِّ ما أعددتُه لكـبيرُ !
فـخـانَ الذي أعددتُ لفراقكم
وولتُ جيوشُ الصبرِ وهي غـرورُ
فلو أنكم يومَ الفراقِ أعـرتمُ
قلوبكم لي إنني لصـبـورُ !

(*) قال الأبيات في الأسر بفرنسا عندما التجأ إخوته إلى المغرب وتركوه وحيداً.
(١) الأبيات في ١، ص : ٢٥، وت : ص : ٥٥٧، ٥٥٨، و : ص : ٢١٠، ٢١١ وفي ت يسير، و : الظعون بفتح الظاء: الراحلة أو البعير يُحمَلُ عليه (م).

(٢) في ت البيت :

رحلتُ، ولوتدرا رحمتُ، فـبيـنكم
لخطبي ليـومَ للبلاء عـسيرُ

آمن من حمام مكة (*)

[من البسيط]

الحمد لله تعظيماً وإجلالاً
ما أقبل اليسرُ بعد العسرِ إقبالاً^(١)
وما أتت نفحاتُ المسكِ ناسخةً
من المكارهِ أنواعاً وأشكالاً^(٢)
وأشكرُ الله إذا لم ينصبرم أجلي
حتى وصلتُ باهلِ الدين إيصالاً^(٣)
وامتدُ عمري إلى أن نلتُ من سندي
خليفة الله أفياءً وظلالاً^(٤)
فالله أكرمني حقاً وأسعدني
وخطُ عني أوزاراً وأثقالاً
قد طال ما طمحتُ نفسي وما ظفرتُ
لكن للوصلِ أوقساتاً وأجالاً
استكن فؤادي وقرّ الآن في جسدي
فقد وصلتُ بحزبِ الله أحبالاً^(٥)
هذا المرامُ الذي قد كنتُ تأمله
فطبّ مالأ بلقياء وطبّ حالاً

(*) قال الأبيات في حضرة السلطان "عبد المجيد" عندما خرج من السجن واختار تركيا للمقام في أول الأمر.

(١) القصيدة في "آ"، ص: ٢٥، ٢٧ وت، ص: ٥٧٦، ٥٧٨، و، ص: ٢٥١، ٢٥٦ ون، ص: ٣٧، ٤٠ في البيت معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح: ١٥.

(٢) في "ت" نفحات الخير.

(٣) حق الكلام أن يكون: «حتى وصلت.. وصلاً ولكنه علل - للضرورة - إلى مصدر آخر هو إيصال وفعله أوصل (م).

(٤) اظلال احد جموع كلمة ظِلّ (م).

(٥) احبال احد جموع «حَبْل»، (م).

وعش هنيئاً فانت اليوم آمنٌ من
 حمام مكة إحراماً وإحلالاً^(١)
 فانت تحت لواء المجد مغتبط
 في حضرة جمعت قطباً وأبدالاً^(٢)
 وقية دلالاً وهز العطف من طرب
 وغن وارقص وجُر الذيل مختالاً^(٣)
 أمنت من كل مكروم ومظلمة
 فبئح بما شئت تفصيلاً وإجمالاً
 هذا مقام التهاني قد حلت به
 فارتع ولا تخش بعد اليوم انكالا^(٤)
 أبشُر بقرب أمير المؤمنين ومن
 قد اكمل الله فيه الدين إكمالاً
 عبد المجيد حوى مجداً وعز غلاً
 وجل قدراً كما قد عم أنوالاً
 كهف الخلافة كافيها وكافلها
 وما عهدنا له في القرن أمثالاً^(٥)
 يا ربه ۝ فاشدد على الأعداء وطائفة
 واحم حماماً وزده منك إجمالاً
 واظهرن حزيه في كل مُتَّجِه
 وسدَّنْ منه أقوالاً وأفعالا

(١) إحراماً وإحلالاً: أراد الأشهر الحرم، والأشهر الحل.

(٢) القطب ويسمى الغوث، والأبدال: هم عند القوم سبعة، كما في التوقيف على مهمات التعاريف (٢٩) لا يزيدون ولا ينقصون.. إلخ، والكلام متعلق بمصطلحات الصوفية (م).

(٣) العطف: جانب الجسم، أو الخصر.

(٤) انكال جمع نكل وهو القيد الشديد (م).

(٥) في "أ"، وت من لا عهدنا له.

وابسط يديه على الغبراء قاطبة
 وذللن كل من في الأرض إذلالاً^(١)
 فالمسلمون بأرض الغرب شاخصة
 أبصارهم نحوه يرجون إقبالا
 كم ساهر يرتجي نوماً بطلعتيه
 وحائر يرتجي للحزن تسهلاً
 فرغ الخلائف وابن الأكرمين ومن
 شدوا عرى الدين أركاناً وإطلالاً^(٢)
 كم أزمه فرجوا كم غمة كشفوا
 كم فككوا عن رقاب الخلق أغلالاً
 هم رحمة لبني الإيمان قاطبة
 هم الوقاية أسواء وأهوالاً
 انصار دين النبي من بعد غيبته
 في نصره بذلوا نفساً وأموالاً
 قد خصهم ربهم في خير منقبة
 ما خص صخباً بها قبلاً ولا آلاً
 كم حاول الصخب والآل الكرام لها
 والله يختص من قد شاء أفضالاً
 ما زال في كل عصر منهم خلفاً
 يحسمي الشريعة قوالاً وفعالاً^(٣)
 حتى أتى دهرنا في خير منتخب
 من آل عثمان أملاكاً وأقبالاً^(٤)

(١) الغبراء : الأرض كلها.

(٢) في "١" وت وشادوا عرى.

(٣) في "١" وت مقوالاً ومفعالاً.

(٤) أملاكاً : جمع ملك، والأقبال : جمع قيل لقب كان يطلق على ملوك اليمن من حمير.

قد كنتُ مضمراً خفُضْتُ ثم أكسبني
 رفعاً وقد عمّني جوداً وافضالا^(١)
 وبالإضافة بعد القطع عرّفني
 وحطّ عني تصغيراً وإعلالاً
 هذا وحقّ عــــلاهُ كم ازاح وكم
 أزال عني بمحض الفضل أثقالا
 لا زال تخدمه نفسي وأمدحه
 مستغرق الدهر أكاراً وأصالا^(٢)
 أهدي مديحي وحمدي - ما حييت - له
 أفادني أنعماً - جلّت - وإقبالا
 جزاء عني إله العرش أفضل ما
 جرى به حسناً - يوماً - ومفضالا

(١) في هذا البيت والذي يليه استفادة من مصطلحات النحو والصرف على سبيل التورية (م).
 (٢) في البيت صلة بقوله سبحانه : «وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً» الأحزاب : ٤٢، [وقوله: أكاراً هي جمع بُكرة، ويقال بُكر أيضاً] (م).

توسلات ودعاء(*)

[من البسيط]

يا ربُّ يا ربُّ يا ربُّ الأنام ! وَمَنْ
إِلَيْهِ مَفْزَعُنَا سِرًّا وَإِعْلَانًا^(١)
يا ذا الجلال ! وذا الإكرام ! مَالِكُنَا
يا حيُّ ! يا مُولِيَا فَضْلًا ! وإِحْسَانًا^(٢)
يا ربُّ ! أَيُّدُ بَرُوحِ الْقُدْسِ مَلْجَأَنَا
عَبْدُ الْمَجِيدِ وَلَا تَبْقِيهِ حَيْرَانًا^(٣)
ابْنُ الْخِلاَافِ وَابْنُ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ
تَوَارَثُوا الْمَلِكُ سُلْطَانًا فَسُلْطَانًا
أَحْيَا الْجِهَادَ لَنَا مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَتْ
وَضَاعَفَ الْمَالَ أَنْوَاءُهَا وَالْوَأْنَا^(٤)
فَانْصَرَهُ نَصْرًا عَزِيزًا لَا نَظِيرَ لَهُ
حَتَّى يَزِيدَ الْعِدَا : هَمًّا وَاحْزَانًا^(٥)
وَاحْفَظْ عِلَاهُ وَارْسِلْ يَا كَرِيمُ لَهُ
مِنَ الْمَلَائِكِ حَفَظًاظًا وَاعْوَانًا
وَانْصُرْ بِهِ الشَّرْعَ وَارْفَعْ يَا رُؤُوفُ بِهِ
عَنْ دِينِكَ الْحَقُّ لَا تَعْدِمْنَاهُ بِرَهَانًا

(*) قال القصيدة في الدعاء والتوسل من أجل نصرته الدولة العثمانية في معركتها مع روسيا في جزيرة القرم عام ١٨٥٣

- (١) القصيدة في ١٢، ص : ٢٧، ٢٩ وت، ص : ٥٨١، ٥٨٢، ونص، ص : ٢٩٣، ٢٩٨ و ٢١٢ يا رب الثالثة غير موجودة.
- (٢) يا ذا الجلال، ويا ذا الإكرام : من قول الله عز وجل : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن : ٧٨ .
- (٣) بروح القدس : وظف الحديث الشريف الذي دعا فيه ﷺ بقوله : «اللهم ايد بروح القدس» [والصواب: ولا تبقه].
- (٤) درست : بليت، امحت، والمعنى بعدما درست معالم الجهاد.
- (٥) نصرًا عزيزًا : من قوله تعالى : ﴿وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ الفتح : ٣ .

واجمع إلهي قلوب المسلمين على
 ودادهم، أعظم له شأنًا^(١)
 به الصواب أصب واجعل له فرجًا
 بطانة الخيبر : أقطابًا وأركانًا
 واهدم وزلزل وفرق جمع شأنه
 واجعل قوادهم بالرعب مألًا
 وانصر وأيد وثبت جيش نصرته
 انصار دينك حقاً آل عثمان
 الباذلون بيوم الحرب أنفسهم
 لله كم بذلوا نفساً وأبداناً
 والضاربون ببياض الهند مرهفة
 تخالها في ظلام الحرب نيراناً
 والطاعنون بسمر الخط عالية
 إذا العدو راها شرعت باناً^(٢)
 والمصطلون بنار الحرب شاعلة
 مطلوبهم منك ياذا الفضل رضواناً
 والراكبون عتاق الخيل ضامرة
 تخالها في مجال الحرب عقباناً^(٣)
 جيش إذا صاح صياح الحروب لهم
 طاروا إلى الموت فرساناً ورُجالاً^(٤)

(١) في "ت" وأعله أعظم.

(٢) سمر الخط : الرماح المصنوعة بقرية تدعى الخط بالخليج العربي [ويان هنا بمعنى بُعد، يريد يهرب العدو ويبتعد حين يرى الخليفة العثماني وأسلحته الفاتكة] (م).

(٣) البيت على صلة ببيت أبي البقاء الرندي :

«يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان»

(٤) بعض المعنى مستمد من قول قريظ بن أنيف :

«قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه ذرافات ووحدان»

[رجلان بضم الجيم جمع] (م).

هُمُ الْجَسْبِالُ ثَبَاتًا يَوْمَ حَرِبَهُمْ
 فَصَابِرٌ مِنْ عِدَاهُمْ صَبِيرُهُ خَائِنًا^(١)
 هُمُ اللَّيْثُ لِيَوْتُ الْغَابِ غَاضِبَةٌ
 وَاللَّيْثُ لَا يُلْتَقَى إِنْ كَانَ غَضِبَانًا
 هُمُ الْأُولَى دَابُّهُمْ شَقُّ الصَّفْوَفِ لَدَى
 حَمَلَاتِهِمْ، صَارَ جَيْشُ الْكُفْرِ دَهْشَانًا^(٢)
 الدَّافِعُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلُّ أَذَى
 بِأَنْفُسٍ قَدْ غَلَتْ قُدْرًا وَائِمَانًا
 كَمْ غَمَّةٍ كَشَفُوا كَمْ كَرْبَةٍ رَفَعُوا^(٣)
 وَكَمْ أَزَاحُوا عَنِ الْإِسْلَامِ عُذْوَانًا
 يَا رَبُّ زِدْهُمْ بَتَايِيدٍ إِذَا زَحَفُوا
 وَاقْطَعْ بِسَيْفِهِمْ ظُلْمًا وَكُفْرَانًا
 الْقِيَامُ السَّكِينَةُ رَبِّي فِي قُلُوبِهِمْ
 وَزِدْهُمْ يَا إِلَهَ الْعَرْشِ إِيْمَانًا
 وَجْهَتُ وَجْهِي أَنْلَنِي مَا دَعَوْتُ بِهِ
 بِأَهْلِ بَدْرِ حِمَاةَ الدِّينِ أَرْكَانًا^(٤)
 مَنْ إِلَهٌ لَهُمْ قَالِ افْعَلُوا وَذَرُوا
 مَا شِئْتُمْ لَكُمْ أَوْجِبْتُ غُفْرَانًا
 اعْنِي : الْإِلَهِي صَرْحَ الْحَقِّ أَظْذَرَهُمْ
 بِإِسْمِهِمْ تَارِكًا مَنْ خَلْفَهُمْ بَانًا^(٥)

(١) فِي تَ هُمُ الرِّجَالُ.

(٢) دَهْشَانُ مَصْدَرُ «دَهَشَ» أَيِ شَدَّهِ وَتَحَيَّرَ، وَمِثْلُهَا دَهَشَ (م).

(٣) وَجْهَتُ وَجْهِي : مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ» الْإِنْعَامُ ٧٩ .

(٤) فِي «أَ» اعْنِي الَّذِي . [وَقَطَعَ هَمْزَةُ الْوَصْلِ فِي «بِاسْمِهِمْ» ضَرُورَةً لِلْوِزْنِ] (م).

بقطبهم أحمد المختار من مضر
 وسيد الخلق أملاكاً وإنساناً
 كذا خليفته الصديق ملجؤنا
 وأعظم الناس إيماناً وإيقاناً
 وبالمكنى أبي حفص الذي افتتحت
 به المغالق حتى صعبها دأناً^(١)
 وبالخليفة ذي النورين ثالثهم
 أعني بذلك : عثمان بن عفاناً
 وبالإمام أخي المختار ذاك علي
 من في الوغى بالعدا تُلْفِيهِ فرحاناً^(٢)
 وبابن عثمان عبد الله سيّدنا
 وابن البكير إياس ساد إعلاناً^(٣)
 وحاطب وبلال ثم حمزة ذا
 عم النبي كريم ساد قحطاناً^(٤)
 بسعدهم وأبي طلحة وسهلهم
 كذا سعيد ظهير ساد عدناناً^(٥)
 بصنوه وعبيد الله ثم أبي
 حذيفة وحبيب زاد رضواناً^(٦)
 بابن الربيع إلهي وابن رافعهم
 رقاعة ثم زيد سيّداً كاناً^(٧)

(١) في "ت" انفتحت. وأبو حفص : كنية عمر بن الخطاب.

(٢) في "ت" تلقاه فرحاناً.

(٣) هو عبدالله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإياس بن أبي البكير شهد بدرأً واحداً والمشاهد كلها (م).

(٤) حاطب بن أبي بلتعة (م).

(٥) سعد بن أبي وقاص، وأبو طلحة زوج أم سليم اللذين دعا لهما النبي وبارك لهما، وسهل بن حنيف أخاه

النبي ﷺ مع علي رضي الله عنه، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (م). والشطر الأول غير مستقيم الوزن.

(٦) اقترح أن تقرأ: بصنوه ابن عبيد الله، وهو طلحة بن عبيد الله. (ومعلوم أن نسخ ديوان الأمير عبد القادر

المطبوعة كلها لم تحقق على المخطوطات) وأبو حذيفة العبشمي، وحبيب بن بديل بن ورقاء (م).

(٧) سعد بن الربيع الأنصاري، ورقاعة بن رافع بن العجلان الأنصاري، وزيد بن ثابت الأنصاري.

وبالزبير؛ أبي زيد كذلك أبو
 لبابة الخير من قد عز إخواناً^(١)
 وبابن عوف وعمر بن عاص، وعقبة وكذا
 عبيدة من لدين الله قد صاناً^(٢)
 وعامر وخنيس ثم عاصمهم
 ثم ابن صامتهم من زاد إنعاناً^(٣)
 عويمر ثم عتب بن وحق لهم
 سيادة ومعاذ طاب أرداناً^(٤)
 ومعوذ وأخيه ثم مسطحهم
 كذلك مالكهم مقدم ماشاناً^(٥)
 قدامة وهلال لانظير لهم
 مرارق وأبي: فضلهم باناً^(٦)
 إنني توسلت يارب الأنام بهم
 أرجوك فضلاً وغفراناً وإحساناً^(٧)
 ثم الصلاة على المختار سيدنا
 ماصارت الشئيب يوم الحرب شيباناً

-
- (١) في ت: عزأخذانا [الزبير بن العوام، وأبو زيد الأنصاري، وأبولبابة مولى رسول الله ﷺ]
 (٢) عبد الرحمن بن عوف، وعمر بن العاص، وعقبة بن عامر، وعبيدة بن الحارث (م).
 (٣) في "أ" من زان إنعاناً. [عامر بن ساعدة، وخنيس بن أبي السائب، وعاصم بن قيس حمي الدبر أو عاصم بن عدي، وعبادة ابن الصامت] (م).
 (٤) عويمر أبو الدرداء، وعتبان بن مالك بن العجلان، ومعاذ بن جبل (م).
 (٥) معوذ بن الحارث، وأخوه عوف، ومسطح بن أثانة، ومالك بن التيهان أول أنصاري دخل في الإسلام (م).
 (٦) قدامة بن مظلون، وهلال بن أمية الأنصاري كانت معه راية بني واقف يوم الفتح ومرارة بن الربيع الأنصاري، وأبي بن كعب الأنصاري وأبي بن ثابت الأنصاري (م).
 (٧) في "ت" أرجوك فضلاً وإحساناً وغفراناً.

نعم الأكرمين (*)

[من المتقارب]

ولم أرَ أعظمَ من نعمةٍ
مُنحتْ ولم تكُ لي في حَسَابِ (١)
سأشكرها شكرَ وقتِ السرورِ
وأذكُرُها ذكْرَ وقتِ الشَّبابِ
أيا سائِقاً بالذي لم يجُلْ
بفكري ثواباً ونعمَ الثَّوابِ
كذا فلتكنْ نِعَمُ الأكْرَمينَ
تفاجي بلا مئةٍ أو طلابِ

(*) قال الأبيات بعد تلقيه وساماً من السلطان عبد المجيد.

(١) الأبيات في "ل" ص: ٢٩ و"ت" ص: ٦٣٩، ٦٤٠، و"ص" ص: ١١٣، ١١٤ [والقافية في هذه الأبيات مقيدة] (م)

بمن أعتاض عنك(*)

[من الوافر]

الْأَقْأَرِ الْخَلِيلَ خَلِيلَ بَاشَا
 سَلَاماً طَيِّباً عِبْقاً نَفِيساً^(١)
 لَهُ قُلٌّ : يَاشِـقُّ الرُّوحَ عَنِّي
 عِلَامٌ هَجَرَتْ بِلَدَتْنَا : بُرُوسَا^(٢)
 لَقَدْ كَانَتْ تَفَاخِرُ كُلَّ مَصْرٍ
 وَتُطْلَعُ مِنْ شَمَائِلِكُمْ شَمُوسَا^(٣)
 فَعَادَتْ بَعْدَكُمْ شَمْطاً عَسْجُوراً
 وَكَانَتْ تَجْتَلِي بِكُمْ عَرُوسَا^(٤)
 وَعَهْدِي سُوحُهَا بِالْوَفْدِ مَالَى
 فَاضْطَحَتْ بَعْدَكُمْ خُلُوءَا دُرُوسَا^(٥)
 وَكَنْتُ لَنَا بِهَا غَيْثاً مَرِيَعاً
 وَكَهْفاً مَانِعاً ضُرّاً وَبُوسَا^(٦)
 وَكَانَ لَنَا الزَّمَانُ بِكُمْ ضَحْوَكَأ
 فَصَارَ لَنَا بِفَقْدِكُمْ عَابُوسَا
 بِمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ^{١٢} فَدَّتْكَ نَفْسِي
 وَكَنْتُ بِقَرَبِكُمْ فَرِحاً أُنِيسَا

(*) حَوْكٌ وَالِي بَرُوسَةَ "خَلِيلَ بَاشَا" عَنْهَا، وَكَانَ صَدِيقَ الْأَمِيرِ فَقَالَ الْقَصِيدَةُ فِي ذَلِكَ.

(١) الْقَصِيدَةُ فِي "أ"، ص : ٣٠ وَت، ص : ٥٩٢، وَص، ص : ٢٢٢، ٢٢٣

(٢) فِي "أ"، وَتْ مِنْهُ عِلَام.

(٣) فِي "ت" كَمْ كَانَتْ.

(٤) الشَّمْطَاءُ : الْمِرَاةُ الْمُسَنَّةُ الذَّمِيمَةُ.

(٥) سُوحُهَا : وَاحِدَتُهَا سَاحَةٌ : وَهِيَ الْمَيْدَانُ الْفَسِيحُ. بَرَسَتْ : امْحَتْ وَبَلَيْت.

(٦) فِي "ت" غَيْثَا هَتُونَا.

غلاء الدار بالجار(*)

[من الطويل]

أبى القلب أن ينسى المعاهد من بُرْسَا
وحبِّي لها بين الجوانح قد أرسى^(١)
أكلفه سلوانها وهو مفرم
فهيها أن نسلو وهيها أن ينسى^(٢)
تباعدت عنها ويح قلبي بغدها
وخلفتها والقلب خلفي بها أمسى
بلاد لها فضل على كل بلدة
سوى من يشد الزائرون لها الحسَا^(٣)
فما جازها فضل ولا حل دونها
سواها نجوم وهي احسبها شمسَا
علي محال بلدة غيـرها أرى
بها الدين والدنيا طهورًا ولا نجسَا
وجامعها المشهور لم يك مثله
به العلم مغروس به كم ترى درسَا

(*) بعث بالقصيدة إلى صديق له ببيروسة بعدما غادرها ليستقر في دمشق بسبب الزلازل التي كانت تضرب بيروسة بين حين وآخر.

(١) القصيدة في "١"، ص: ٣٣، ٣٤ وت، ص: ٥٩٢، و، ص: ٢١٨، ٢٢٢

(٢) في "١" أن يسلا.

(٣) يريد البلدان التي عناها الرسول ﷺ في حديثه: «لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» [رواه أبو داود وأحمد والنسائي وابن ماجه. والحس كساء رقيق على ظهر الدابة تحت البردعة، (م)].

وسلطانها أعني الأمير رئيسها
 به افتخرت "برسا" فاعظم به راسا
 ومنزلة الأعلى حكى لي روضة
 به الفخر قد أمسى، به الفضل قد أرسى
 بها ال عثمان الجهابذة الألى
 اشادوا منار الدين وابتذلوا النفسا^(١)
 ليبيكهم للدين من كان باكيًا
 فما شام هذا الدين في عصرهم نحسا^(٢)
 فكم عالم فيهم! وكم من مجاهد!
 وكم من ولي قد تخيرها رمسا^(٣)
 الا ليت شعري هل أحل رياضتها؟
 و"بنار باش" هل أطيب به نفسا^(٤)؟
 فيصبو بها في العيد من ليس صابيا
 ويفرح محزون الفؤاد ولا يأسى
 وكيف "جكركة" بعدنا وقصورها^(٥)
 تراها الثريا إذ توسطت القوسا^(٦)
 ومن تحتها نهر جري متدفقا
 يشابه ثعبانا وقد خشي الحسا^(٦)
 فهبني أسلو أرضها بتكلف
 فليست بسال للأهالي ولا أنسى

-
- (١) الجهابذة : الفصحاء المتميزون.
 (٢) في "١٢" الا بيكهم. و : فما شان. شام : شهد، واحس.
 (٣) تخيرها رمسا: يريد اختارها دار إقامة دائمة حتى كانت وفاته فيها. والرأس: القبر (م).
 (٤) في الديوان: [حقي ١٧٣، وصيام ٢٢٠] «نارباش» مكان في بروسا (م)..
 (٥) جكركة : من أحياء بروسة الجميلة.
 (٦) خشي الحسا : يريد سرعة النهر لإحساسه بالخطر كالثعبان.

ومن أجلهم حَبَّيْ لها وتشوُّقي
 وإن غلاءً الدار بالجار قد أمسى
 أناسٌ بهم أهلي سلوتٌ وبلدتي
 وفي كلِّ أنٍ قد رأى ناظري أنسا
 وفارقتُ أهلي مذ تجمُّع شملنا
 وأمنتُ لا غمًّا أخافُ ولا نكسًا^(١)
 مكارمُ أخلاقٍ وحسنُ شمائلٍ
 ولينُ طباعٍ واللطافةُ لا تُنسى
 سقى الله غيثاً رحمةً وكرامةً
 أراضٍ بها حلُّ الأجيبة من بُرسًا^(٢)

(٧) في ١٢ وأمنت.

(١) أراضٍ : حقها النصب، وقد اضطر الشاعر إلى حذف الياء لاقتضاء الوزن ذلك.

كريم من كريم (*)

[من الوافر]

فـذَا دِيَوَانِ سَيِّدِنَا الْكَرِيمِ
 سَلِيلِ الْمُصْطَفَى عِبْدِ الْكَرِيمِ^(١)
 مِنَ اللَّائِي تَطْيِيغُهُمُ الْقَوَافِي
 وَتَنْقَادُ أَنْقِيَادًا كَالْغَرِيمِ^(٢)
 وَتَالْفُهِمُ مَعَانِ شَارِدَاتٍ
 دَقِيقَاتٍ أَرْقُ مِنْ النَّسِيمِ
 لَهَا فِي قَلْبِ سَامِعِهَا دَبِيبٌ
 دَبِيبُ الْبَرِّ فِي ذَاتِ السَّقِيمِ^(٣)
 وَتُطْرِبُ مَنْ يَقْرُءُ مِنَ الْمُثَانِي
 وَتُرْقِصُ مَنْ يَكْدُرُ بِالْغَنِيمِ^(٤)
 إِذَا هَزُّوا الْيَرَاعَ أَتَوْا بِسَحَرٍ
 ذَوُ الْتَبْيِيَانِ وَالطَّبِيعِ السَّلِيمِ
 وَإِنْ هَزُّوا الْقَنَا وَنَضُّوا سَيُوفًا
 تَظَلُّ عِدَاتُهُمْ مِثْلَ الْهَشِيمِ^(٥)

(*) تلقى الأمير عبد القادر نسخة من ديوان عبد الكريم الحمزاوي أحد وجهاء دمشق أهداها إياه فقرظه بالقصيدة، ومدحه لانتسابه للأسرة النبوية الشريفة كما مدح شعره.

(١) القصيدة في "١"، ص: ٣٤، ٣٥ و"ص"، ص: ٢٨٩، ٢٩٠

(٢) أخذ على استعمال "اللائي" لجمع الذكور، وهو اسم موصول لجمع المؤنث.

(٣) في "١" في عظم سامعها. والبيت فيه تمثّل بيت أبي نواس:

«فَتَسَمَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِمْ

كَتَمْتُ شَيْءَ الْبَرِّ فِي السَّقِيمِ»

(٤) المثنائي: العود أو القيثار.

(٥) في "١" تطل عداتهم، والهشيم: الزرع الجاف.

نظرتُ كلامه فبكيت حزناً
 ومسا شـهـم لـفـضلٍ بالسليم
 ولكن مسكن العـبـرات مئـي
 بنجلهم وفـخـرهم سليم
 كريم من كريم من كريم
 كريم من كريم من كريم^(١)
 إلى أبناء هاشم قد نمت^(٢)
 ذوو الأحساب والشرف العميم^(٣)
 فنخري حبهم عند احتياجي
 ولا يغني حميم عن حميم^(٣)

-
- (١) تكرار الكريم يسائر أخلاق الأمير فهو كريم من كرماء يحب من يصفه بذلك.
 (٢) نمته : رفعته.
 (٣) يقول إنه ينخر حب آل النبي رجاء أن ينفعه في يوم المشهد العظيم: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ . وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» المعارج ٨-١٠ (م).

محامد العلم(*)

[من الكامل]

سَرَّحَ سَوَادَكَ وَالطَّرُوسُ سَمَاءً
 مَا لِلسَّمَاءِ لَدَى الْعُرُوسِ عِلَاءٌ^(١)
 حَمْدًا لِلَّهِمَّ أَوْحِدِ الْعِلْمَاءَ مَحْدً
 مَوْدٍ عُلُومًا مَالَهَا إِحْصَاءُ
 هُوَ أَعْلَمُ الْعِلْمَاءِ وَأَحَدُ عَصَرِهِ
 هُوَ طَوْدُ سَرَّحَ هُدًى لَهُ إِهْدَاءُ
 وَهُوَ الْإِمَامُ وَاهْلُ كُلِّ مَحَامِدٍ
 مَا دَعْدُ؟ مَا عَلَوَى؟ وَمَا أَسْمَاءُ؟^١
 أَهْدَى الْوَرَى السُّخْرَ الْحِلَالَ وَكَمْلَهُ
 هَمٌّ لَهَا دَوْمًا عُلَاً وَوَلَاءُ^(٢)
 اللَّهُ أَوْلَى آلِ طَةَ سَرَّحَ وَوَدًا
 وَمَحَامِدًا لِعُلُومِهَا إِمْلَاءُ^(٣)
 وَاللَّهُ وَدَّهَمُ وَأَعْطَاهُمْ حِمْفِي
 سَرَّحَ عِلَالَهُ لِلْسَّمَاءِ سَمَاءُ^(٤)
 اللَّهُ أَمَّا أَحْلَى وَأَمْلَحَ مَوْرَدًا
 أَهْدَاهُ وَهُوَ إِلَى الْهَمِّ مَوْدًا
 أَمَّا أَحْلَى وَأَمْلَحَ مَوْرَدًا

- (*) قال القصيدة في تقييد تفسير "محمود الحمزاوي" مفتي دمشق الذي أهدى منه نسخة إلى الشاعر.
 (١) القصيدة في ٢، ص: ٣٥، و٣، ص: ٩٥، ٩٦، والسواد: كناية عن الحبر الأسود، والسماك: نجم ساطع. أراد في البيت أن معاني "الحمزاوي" عروس المعاني، وأثاره العلمية سيدة الأثر، ولا أحد يسمو إلى علاه.
 (٢) للشطر رواية أخرى هي: "هم لها دوما عطا وولاء".
 (٣) صرف (محامد) للضرورة الشعرية (م).
 (٤) آل الحمزاوي من الأشراف. وقوله «والله ونهم» إشارة إلى قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» الشورى ٢٣ (م).

هدية وشكر(*)

[من الوافر]

تفضّل بالقَبُول لها فإني
أرى الدنيا جميعاً دون قدرِكَ^(١)
لأنك بَضْعَةُ المختارِ صِرْفاً
ففخرُ الخلق طراً دون فخرِكَ^(٢)
وليسَ الناسُ غـيـرَكمُ بناسٍ
إذا قـاسـمـوا بحـارهم بدركُ
وإنك إن قبلت - فـدـتـك تـفـسـي -
لقد حـمـلتـني أعـبـاء شـكـرك

(*) أبيات أرفقها الأمير بهدية أرسلها إلى صديقه المفتي محمود الحمزاوي.

(١) الأبيات أثبتت في ١٠، ص: ٣٦، وغير مثبتة في بقية المصاير.

(٢) المختار: أراد رسول الله ﷺ [وفي الحديث: «فاطمة بَضْعَةُ مني» أي جزء مني] (م).

ما أكمله (*)

[من المتقارب]

خَلِيلِي ! اتَانِي مِنْكَ الْكِتَابُ
فَلِلَّهِ دُرٌّ مِمَّا أَجْمَلُهُ (١)
اتَانِي كَمِمَّا أَنَا طَالِبُ
فَلَا زِلْتُ فِي الْوَقْتِ ذَا أَفْضَلُهُ (٢)
وَلَا زِلْتُ حَائِزُ قَصَبِ السَّبَاقِ
إِلَى كُلِّ فَضْلٍ غَلَا نَائِلُهُ
تَهَرُّ الْيَرَاعُ فَتَخْشَى السَّيُوفُ
وَتَصْبِحُ مَهْزُومَةٌ جَافِلُهُ
وَمَا زِلْتُ السَّمَرُ وَالْمَرْهَفَاتُ
لَأَقْلَامِكُمْ خِدْمًا مَائِلُهُ
إِذَا كَانَ فَضْلُ الْغَنَى بِاللِّسَانِ
فَإَنْتُمْ لَكُمْ السَّنُّ فَافْضَلُهُ (٣)
وَإِنْ كَانَ خَاصُّتَهُ كَاتِبًا
فَكَمْ مِنْ خَوَاصِّ لَكُمْ كَامِلُهُ

(*) بين الأمير، ومفتي دمشق محمود الحمزاوي مراسلات، ومن تلك كتاب ورد عليه من المفتي أعجب به، فرد عليه بقصيدته "ما أكمله".

(١) القصيدة في "١"، ص: ٣٦، و"ص"، ص: ٢٨١، ٢٨٢، وفي "٢" بده ما أجمله.

(٢) الأبيات ١٠.٨.٢.١ من هذا القصيدة مخالفة لقواعد القافية؛ فإنها تخلو من ألف التأسيس الثابتة في سائر الأبيات. فقله: «أفضله» لا يتفق من جهة علم القافية مع «نائله» مثلاً. وسناد التأسيس، من عيوب القافية.

(٣) في "٢" فضل الفتى.

لئن كان لفظ اسمكم مفرداً
فمعناكم الجمع ما أشملة ١٩
ولو كان بالفضل يُرقى السماك
رقبيتم واثقلتم كاهلة (١)
جمعت أدياً وفضل انتساب
فناعيتكم قال: ما أكملة

(١) في "أ"، فلو كان بالفضل.

عود وورد (*)

[من الطويل]

تَبَخَّرْ بِعُودِ الطَّيِّبِ لَا زِلْتَ طَيِّباً

وَرَشْ بِمَاءِ الزَّهْرِ يَا خَلَّ وَالْوَرْدِ^(١)

وَمَا بُغِيَّتِي هَذَا وَلَكِنْ تَفَاوُلًا

بَعُودٍ إِلَى عُودٍ وَوَرْدٍ إِلَى وَرْدٍ^(٢)

(*) رأى الأمير ماء متدفقاً من ناعورة البئر قرب المدينة المنورة، فاعجب به فقال البيتين.

(١) البيتان في "ت"، ص: ٧٠٤، و"ص"، ص: ١٤٣، ١٤٤، ولم تثبتا في "ا" وفي "ت" بحر.

(٢) في البيت حنين الشاعر إلى وطنه، وتفاؤله بالعودة إليه.

مناجاة أحد (*)

[من الطويل]

تذكرتُ وشكّ البين قـبـل حـلـولـه
فجـادـتُ عـيـونـي بالدموعِ على الخـدِّ
وفي القلبِ نـيـرانٌ تـاجـجُ حـرُّها
سـرـتُ في عظامي ثم صارتُ إلى جـلـدي^(١)
ومـالـي نـفـسٌ تـسـتـطـيـعُ فـراقَـهم
فـيـالـيـتُ قـبـل البين سـارـتُ إلى اللـحـدِ
إلى اللّٰه أشكـو مـالـاقـي من النـوـى
وحـمـلي ثـقـيـلٌ لا تـقـوـمُ به الأيـدي^(٢)
بـطـيـبـة طاب العـيـشُ ثم تـمـرّـتُ
حـلاوـتـه فـالـنـجـسُ أـزـبى على السـعـدِ^(٣)
أرـدُّ طـرفـي بـين وادي عـقـيـقـهـا
وبـين قُـبـبـاهـا ثم ألـوي إلى أحـدِ^(٤)
مـنازلٍ مَن أهـواهُ طـفـلاً وياقـوعاً
وكـهـلاً إلى أن صـرـتُ بالشـيـبِ في بُـرْدِ

(*) الأبيات في ١، ص: ٤٢، ٤٣ وت: ص: ٧٠٥، ون: ص: ١٤١، ١٤٢ وت: ص: ٥٦

(١) في ١، وت: سارت في عظامي.

(٢) في ١، وت: من القوى.

(٣) في ت، ثم تمررت.

(٤) قباها : قباء أصلاً فيها بني أول مسجد في المدينة سمي باسمها.

جَنَاتِ دُمُرٍ (*)

[من الكامل]

عُجْ بِي - فـدَيْتُكَ - فِي أَبَاطِحِ دُمُرٍ

ذات الرياض الزاهرات النضـر^(١)

ذات المياه الجاريات على المنـفـا

فكانـها من ماء نهر الكوثر^(٢)

ذات الجداول كالأراقـم جـريـها

سـبـحـانـه من خالق ومـصـوّر^(٣)

ذات النسـيـم الطيب العطر الذي

يُغـنـيك عن زبد ومـسـك أدفـر^(٤)

والطير في أدواحها مـتـرـنـم

برخيم صوت فاق نغمة مزهر^(٥)

مـسـغـنـى به النسـاك يزهو حالـها

مـمـا بين أفكار وبين تفكـر^(٦)

(*) في دمر إحدى أجمل مصايف دمشق بنى الأمير قسراً يصطاف فيه، وفيه فاضت روحه وارتقى إلى الملا الأعلى رحمه الله.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٥١، وت: ص: ٦٢٧، ون: ص: ١٦٩، ون: ص: ٥٩، وعج بي: مل واسترح.
(٢) الصفا: الصخر الأملس، والكوثر نهر في الجنة ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر ١.

(٣) الأراقم: الحيات.

(٤) زبد: مادة عطرة تستخرج من سنور الزباد. [مسك أدفر: نكي الرائحة، جيد إلى الغاية] (م)

(٥) في "أ"، وت: مزمر. [والمزهر: العود؛ الآلة الموسيقية المعروفة] (م).

(٦) في "أ" يزكو حالها.

ماشئت أن تلقى بها من ناسك
أو فساتك في فستك مستطور
أين الرصافة والسدير وشعب بو
ان ... إذا انصفتها من دُمر^(١)

(١) الرصافة: إما المدينة العراقية أو السورية، وهما مدينتان تمتازان بحدائقهما الغناء، والسدير: قصر من قصور ملوك المناذرة في العراق، قال "المنخل اليشكري" يذكره:

«إذا شريت فإني رب الخورنق والسدير

وإذا صحت فإني رب الشويحة والبعير»

[شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري: ت.د. علي المفضل حمودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي - ط(١) ١٩٩٢]

وشعب يوان: من غوطات فارس، ومن أضخم قصورها في عهد كسرى وهو الذي عناه المتنبي في قصيدته المشهورة بقوله:

«يقول بشعب يوان حسان: أعن هذا يسار إلى الطعان»

[ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح البرقوقي، تحقيق: د.عمر فاروق الطباع، ٥٥٧/٢، دار الأرقم - بيروت دت].

الناعورة العاشقة(*)

[من الطويل]

وناعورة ناشدتُها عن حنينها
حنين الحوار والدموع تسيل^(١)
فقلت وأبدت عذرها بمقالها
وللصدق آيات عليه دليل^(٢)
الست تراني القم الندي لحظة
وأدفع عنه والبلاء طويل^(٣)
وحالي كحال العشيق بات محالفاً
يدور بدار الحب وهو ذليل^(٣)
يطاطئ حزنأ رأسه بتذل
ويرفع أخرى والعويل عويل

(*) ارتجلها في مادية غداء أقيمت على شرفه في حمام، وفي انثائها استرعت ناعورة انتباهه، وكان ذلك عام ١٢٧٧هـ، ١٨٨٢م.

(١) الأبيات في ت، ص: ٦٦٨، و، ص: ٢٨٣، ون، ص: ٦٠.

(٢) الندي: هنا كناية عن الدلو المملوء بالماء.

(٣) العشيق: يقصد العاشق.

وليمة الله!!

[من الطويل]

فلم يكن المولى لأكل عَصِيدَةٍ
دَعَاكُمْ وَلَا لِلجُبْنِ وَالْخُبْزِ وَالْخَلِّ^(١)
وَلَكِنْ دَعَاكُمْ لِلْحَلَاوَةِ وَالشُّوَا
وَكُلُّ لَذِيذِ طَابٍ مِنْ أَنْفَسِ الْأَكْلِ !

(١) البيتان في ١٦، ص: ٥٢، ٥٣، و٥٤، ص: ٢٧١، والعصيدة طعام معروف في الوطن العربي وإن اختلفت مواد عمله بين منطقة وأخرى.

مكتبة جامعة القاهرة

هـ - التصوف

الْحَمْدُ لِلَّهِ

[من الكامل]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ خَصَّنِي
بِصِفَاتِ كُلِّ النَّاسِ لَا النَّسْأَسِ^(١)
الْجُودُ وَالْعِلْمُ الْفَيْسُ وَإِنِّي
لَأَنَا الصَّبُورُ لَدَى اشْتِدَادِ الْبَاسِ
وَتَحْسُدُنِي شُكْرًا لِنِعْمَةِ خَالِقِي
إِذْ كَانَ فِي ضَمْنِي جَمِيعُ النَّاسِ^(٢)

(١) الأبيات في ١٢، ص: ٥٢، و١٠ ص: ٢١٥

(٢) نكر حقي أن الشطر الثاني له رواية أخرى هي: "وهو الذي بي جامع للناس، منوهاً إلى أنه ورد مضمناً في قصيدة الشيخ عبد المجيد الخاني التي مدح فيها الأمير، والمثبتة في كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ص ٢٢٣ وقد رجعت إلى الكتاب فلم أجِد الأبيات في الموطن المحدد، في نسخة «دار البقعة العربية ١٣٨٤ - ١٩٦٤».

أستاذي الصوفي(*)

[من الطويل]

أمسعودُ ! جاء السعدُ والخيرُ واليُسْرُ
وولتَ جيوشَ النحسِ ليسَ لها ذكرٌ^(١)
ليالي صُدودٍ وانقطاعٍ وجفوةٍ
وهجرانٍ ساداتٍ ... فلا ذكرَ الهجرِ^(٢)
فايامُها أضحت قَتَاماً ودجئةً
ليالي لا نجمٌ يضيء ولا بدُرٌ^(٣)
فراشي فيها حشوةُ الهمِّ والضنى
فلا التذُّ لي جنباً ولا التذُّ لي ظهرٌ^(٤)
ليالي انادي والفؤادُ متيماً
ونارُ الجوى تشوي لما قد حوى الصدرُ^(٥)
أمولاي ! طال الهجرُ وانقطع الصبرُ
أمولاي ! هذا الليلُ هل بعده فجرٌ؟^(٦)

(*) ذكر في "ت"، ص : ٦٩٤، ٦٩٥ أن القصيدة قالها الأمير بعد أن انقطع إلى العبادة في غار حراء بمكة المكرمة إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى على عادة المتصوفة.

(١) القصيدة في "آ"، ص : ٤٣، ٤٨ و"م"، ص : ١٣٩٨، ١٤٠٢، و"ت"، ص : ٦٩٥، ٦٩٩، و"ص"، ص : ١٨٢، ٢٠٤ .
ومسعود : يريد نفسه تعبيراً عن فرحته، وسعادته للتعرف إلى أستاذه "محمد الفاسي" مقدم الطريقة الصوفية الشاذلية، والذي أخذ عنه التصوف بمكة المكرمة.

(٢) في "أ"، و"م"، و"ت" ولا ذكر. والسادات : عني بهم علماء الصوفية.

(٣) في "م" ليالي نهارها قتام، ورضة. وليلها. القتام : الغبار الأسود. والدجنة : الظلام، والدخنة : الدخان.

(٤) في "م" ليالي بها فراشي قد حشا. وفي "م" فما التلي.

(٥) في "م" أقول والفؤاد والجوى وقودها ما حوى.

(٦) في "م" وهل بعده.

أَغِثْ يَا مَغِيثُ الْمُسْتَفِيثِينَ وَالْهَأْ

أَلَمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَحْسَابِهِ الضَّرُّ^(١)

أَسْأَلُ كُلَّ الْخَلْقِ هَلْ مِنْ مَخْبَرٍ؟!

يَحْدِثُنِي عَنْكُمْ فَيَنْعَشُنِي الْخَبَرُ^(٢)

إِلَى أَنْ دَعَيْتُنِي هُمَّةُ الشَّيْخِ مِنْ مَدَى

بَعِيدٍ إِلَّا فَادَنْ فَعَنْدِي لَكَ الذُّخْرُ^(٣)

فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِي الْإِطَارَ وَطَارَ بِي

جَنَاحُ اسْتِيَاقٍ لَيْسَ يُخْشَى لَهُ كَسْرُ^(٤)

وَمَا بَعْدَتْ عَنْ ذَا الْمَحَبِّ تَهَامَةٌ

وَلَمْ يَثْنِهِ سَهْلٌ هُنَاكَ وَلَا وَغْرُ^(٥)

إِلَى أَنْ انْخَنَّا بِالْبِطَاحِ رَكَابَنَا

وَحَطَّتْ بِهَا رَحْلِي وَتَمَّ لَهَا الْبَشْرُ^(٦)

بِطَاحُ بِهَا الْبَيْتُ الْمَعْظُمُ قَبْلَةً

فَلَا فَخْرَ إِلَّا فَوْقَهُ ذَلِكَ الْفَخْرُ

بِطَاحُ بِهَا الصَّيْدُ الْحَالِلُ مُحَرَّمٌ

وَمِنْ حُلَّهَا حَاشَاهُ يَبْقَى لَهُ وَزْرُ^(٧)

(١) فِي "م" بَيْت "أَغِثْ يَا مَغِيثُ..." غَيْرَ مُوجُودٍ.

(٢) فِي "م" أَسْأَلُ مِنْ لَاقَيْتَ هَلْ مِنْ مَنْبَى.

(٣) فِي "م" مِنْ تَد. وَ: مِنْ بَعِيدٍ تَعَالِ عِنْدَنَا ذَلِكَ.

(٤) فِي "م"، وَتَ ذَيْلِي الْإِزَارَ. وَفِي "م" اسْتِيَاقِي.

(٥) فِي "م" وَمَا بَعْدَ تَهَامَةٍ عَنْ مَعْنَى. وَلَا نَاءَ عَنْ صَبِّ حِجَازٍ وَلَا غُورَ.

(٦) فِي "م" فَلَمَّا انْخَنَّا. وَ: حَطَّتْ رِجَالُهَا وَتَمَّ لَهُ السَّفَرُ.

(٧) فِي "م" فَلَيْسَ يَبْقَى.

أتاني مربّي العارفين بنفسه
 ولا عجباً فالشأن اضحى له امر^(١)
 وقال : فإنني منذ أعداد حجة
 لمنتظر لقياك يا أيها البذر^(٢)
 فسانت بُني منذ "الست بركم" ؟
 وذا الوقت حقاً ضمّه اللوح والسطر^(٣)
 وجدك قد أعطاك من قدم لنا
 نخيرتكم فينا ويا حبذا الذخر^(٤)
 فسقيلت من أقدامه وبساطه
 وقال : لك البشئري إذا قضى الأمر^(٥)
 والقي على صفري بإكسيري سره
 فقيل له : هذا هو الذهب التبر^(٦)
 واعني به : شيخ الأنام وشيخ من
 له عمة في عذبة وله الصدر^(٧)
 عيادي ملاذي غمدتي ثم غدتي
 وكهفي إذا أبدى نواجذه الدهر^(٨)
 غيائي من أيدي العداة ومنقذي
 منيري مجيري عندما غممني الغمر^(٩)

-
- (١) في "م" فالشأن فيه امر.
 (٢) في "م" وقال: "إني مذ كذا كذا حجة لانتظر، وانتم الآن لم تدر، الحجة : السنة.
 (٣) في "م" فانت نبي. وذا وقت ما تشمن اللوح والسطر.
 (٤) في "م" فحكك قد أعطاك حينئذ لنا، نخيرتكم هنا. الجذ : يريد رسول الله (ص).
 (٥) في "م" قد قضى.
 (٦) في "م" من إكسيري. و: فصفري بعد أنه الذهب. الصفر بضم الصاد : النحاس الأصفر.
 (٧) في "م" بل شيخ كل من و: بعذبة، وفي "ت" ذي غذبة [والفصيح: عمامة، والعمة: النوع يقال هو حسن العمة] (م).
 (٨) في "م" إذا ما أبدى أنيابه الدهر، وفي "ا" نواجذه.
 (٩) في "م" البيت :

منقذي من أيدي الودي ————— خلصي
 ولا حين النجاسة أرغممني عـــــــمر

ومحيي رفااتي بعد أن كنت رمة
وأكسبني عمراً لعمري هو العمر^(١)
محمّد الفاسي له من محمّد
صفيّ الإله الحال والشّيم الغر^(٢)
بفرّض وتغصيب غدا إرثه له
هو البدر بين الأولياء وهم الزهر^(٣)
شّمائله تغنيك إن رمت شاهداً
هي الروض لكن شقّ أكمامه القطر^(٤)
تضوّع طيباً كلّ زهر بنشوره
فما المسك؟ ما الكافور؟ ما الندى؟ ما العطر^(٥)
وما حاتم؟ قل لي وما حلم أحنف^(٦)
وما زهد إبراهيم أدهم؟ ما الصبر^(٧)
صفوح يغض الطرف عن كلّ زلة
لهيبته ذلّ الغضنفر والنمر^(٨)

- (١) الرفات : حطام الجسد، وبقاياها. و: رمة بكسر الراء وضمتها : بقايا عظم الميت.
- (٢) في "م" رسول الإله الحال [وقد ذكر الأمير الشاعر شخصية محمد الفاسي كثيراً في كتاب المواقف، وأخذ عنه وكان شيخ الطريقة الشاذلية] (م).
- (٣) في "م" الشطر الأول : "بارت بتعصيب وفرض كليهما".
- (٤) في "م" البيت
: ويكفيك شاهداً شمائله التي
كانها رياض شقّ كمّامها القطر.
- الأكمام : غلاف رقيق يحيط بالزهر.
- (٥) في "م" تفوح طيباً.
- (٦) في "م" البيت :
- وما جرد حاتم وحلم أحنف وزهد أدهم الإمام وصبر
- حاتم : هو حاتم الطائي الشاعر العربي الذي عاش في الجاهلية يضرب به المثل لكرمه، و الأحنف : واحد من حكماء العرب كذلك. و: إبراهيم أدهم : أحد نساك سورية الذي صرف نفسه عن متاع الدنيا عبادة لله وحده.
- (٧) في "م" صفوح، سموح، يغضي ذلة وتغضي مهابة له الأسد والنمر.

هشوشٌ بشوشٌ يلقي بالرحبِ قاصداً
وعن مثلِ حبِّ المزنِ تلقاه يفترُّ
فلا غضبٌ حاشا بأن يستفزه
ولا حسدٌ كلا ولا عنده ضررٌ^(١)
لنا منه صددٌ ما تكدره الدلا
ووجهة طليق لايزايله البشورُ
ذليلٌ لأهل الفقر لا عن مهانةٍ
عزیزٌ ولا تيبةٍ لديه ولا كِبَرٌ^(٢)
ومما زهرة الدنيا بشيء له يُرى
وليس لها - يوماً - مجلسه نشرٌ^(٣)
حريصٌ على هدي الخلائق جاهداً
رحيمٌ بهم يرُحِبِيرُ له القدرُ^(٤)
كسماه رسولُ الله ثوبَ خلافةٍ
له الحكمُ والتصرُّفُ والنهيُّ والأمرُ^(٥)
وقيلَ له : إن شئتَ قل : قدمي علا
على كلِّ ذي فضلٍ احاط به العصرُ^(٦)

- (١) في "م" اوحده تستفزه، و: صفاته عن أوج الكمال ما تزور.
(٢) في "م" دليل لأهل الفقر، في البيت معنى قوله تعالى : ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. المائدة : ٥٤ .
(٣) في "ت" له ترى. وفي "م" ورد بهذه الصورة:
لديها
شئ
لا
ولا لها يوماً في مجالسه ذكر نشر.
(٤) في "م" في البيت :
حريص على مداية الخلق جاهداً
رحيم بهم كأنه الوالد البشور
وفي البيت معنى الآية : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. القوية : ١٢٨
(٥) في "م" والنفع والضرر.
(٦) في "م" كل عارف.

فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
وليس على ذي الفضل حصر ولا حَجْر^(١)
وذا وأبيك الفخر، لا فخر من غدا
وقد ملك الدنيا وساعده النصر^(٢)
وهذا كمال، كل عن وصف كنهه
فمن يدعي هذا فهو السر^(٣)
أبو حسن لو قد رآه أحبُّه
وقال له : أنت الخليفة يا بحر^(٤)
وما كل شهم يدعي السبق صادق
إذا سبق للميدان بأن له الخسر^(٥)
وعند تجلي النقع يظهر من علا
على ظهر جردبل ومن تحته حمر^(٦)
وما كل من يعلو الجواد بفارس
إذا ثار تقع الحرب والجو مغبر^(٧)
فيحامي ذماراً يوم لا ذو حفيظة
وكل حماة الحي من خوفهم فروا^(٨)

(١) في "م" وذلك. و: فما على فضل الله حظر ولا حجر. وفيه معنى الآية : ﴿فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. الجمعة : ١٤

(٢) في "م" هذا وأبيك.

(٣) في "م" البيت :

"فهذا هكذا الكمال وإلا لا فمن يدعي الكمال هذا هو السر".

(٤) في "م" الخليفة لاغير.

(٥) في "م" البيت :

"وما كل مدع الخلافة صادقاً إذا سبق للمسيار بان له والحمر".

(٦) في "م" البيت :

وعندما يتجلى الغبار تبدأ من على مر أجرد ومن تحته غير.

النقع : الغبار. والجر دبل : الفرس القوي. والأجرد : فرس قصير الشعر، والحمر : جمع حمار : العير.

(٧) في "م" من ركب. و: إذا حمي الوطيس.

(٨) في "م" فيحامي الزمان. و: يحام وكل شجعان الحي قد فروا.

ونادى ضعيفاً الحي من ذا يُغيثني ؟
 أما من غيور؟ خانتني الصبرُ والدهرُ^(١)
 وما كلُّ سيفٍ ذو الفقارٍ بحدّه
 ولا كلُّ كرارٍ عليّ إذا كسروا^(٢)
 وما كلُّ طيرٍ طار في الجوّ فاتكأ
 وما كلُّ صيّاحٍ إذا صرصر الصقُر^(٣)
 وما كلُّ من يُسمّى بشيخٍ كمثله
 وما كلُّ من يدعى بعمرٍو إذا عمرو^(٤)
 وذا مَثَلٌ للمدّعين ومن يكن
 على قدمٍ صدقٍ طبيباً له خبر^(٥)
 فلا شيخٍ إلا من يخلص هالكاً
 غريقاً ينادي : قد احاط بي المخر^(٦)
 ولا تسألن عن ذي المشائخ غير من
 له خبرةٌ فاقت وما هو مُغر^(٧)
 تصفّح أحوالَ الرجالِ مجرباً
 وفي كلِّ مصرٍ بل وقطرٍ له أمر^(٨)

- (١) في "م" فإنني في أيدي العدا فلا يدي أس.
 (٢) في "م" كل فارس. ذو الفقار : سيف علي بن أبي طالب [علياً. كذا وردت، والوجه أن يقال: علي] (م).
 (٣) في "م" فلا طير صارح إذا صرصر الصقر.
 (٤) في "م" من تسمى بالشيخ هو ذا. و: من يدعي عمداً ذا عمر. وفي "ت" ولا كل عمرو : أراد عمرو بن العاص [وأرجح أن يكون المقصود عمرو بن معد يكرب، وقد ضربت العرب به المثل كقول أبي تمام: إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أخنف في ذكاء إياس].
 قال التبريزي في شرح ديوانه: هو عمرو بن معد يكرب وضرب المثل بسيفه للصمصامة فقل: صمصامة عمرو (م).
 (٥) في "م" فهذا أمثال المدعين.
 (٦) في "م" غدا وقد احاط به.
 (٧) في "م" عن المشائخ و: فاقت بالأمر ماهو.
 (٨) في "م" منهل ومصر.

فأنعم بمصر ربّت الشيخ يافعاً
 وأكرم بقطر طار منه له ذكر^(١)
 فمكة ذي خير البلاد فديتها
 فما طاولتها الشمس يوماً ولا النسر^(٢)
 بها كعبتان : كعبة طاف حولها
 حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر^(٣)
 وكعبة حجاج الجناب الذي سما
 وجل فلا ركن لديه ولا حجر^(٤)
 وشئان ما بين الحجيجين عندنا
 فهذا له ملك وهذا له أجر^(٥)
 عجبت لباعي السير للجانب الذي
 نقّس ممّا لا يجد له السائر^(٦)
 ويلقي إليه نفسة بفنائيه
 بصدق تساوى عنده السر والجهر^(٧)
 فيلقى مناخ الجود والفضل واسعاً
 ويلقى فراتاً طاب نهلاً فما القطر^(٨)

(١) في "م" البيت :

"فأنعم البلاد ريت الشيخ يافعاً وخير البلاد صار منها له ذكر".

(٢) في "م" فمكة خير بلدة خير بقعة. وما طاولتها [النسران كوكبان في السماء؛ وهذا هو المعنى المقصود] (م).

(٣) في "م" وأنا ذاك.

(٤) في "م" حجر: أراد الحجر الأسود، وقد سكن الجيم لضرورة الوزن، وهو مباح للشاعر. [والحجر (بكسر

الحاء وسكون الجيم) الحائط المستدير من جهة الميزاب، وكلام الأمير هنا يجري على منهج الصوفية] (م).

(٥) في "م" عندما.

(٦) في "أ" لم لا يجد. في "م" تقدس كيف لا يجد به. في "ت" تقدس سرا.

(٧) في "م" إليه ويلقى.

(٨) في "م" فراتاً طاب ورده والصن.

ويلقى رياضاً ازهرت بمعارف
 فيا حبذا المرأى ! ويا حبذا الزهر !
 ويلقى جنائناً فوق فردوسها العلا
 وما لجفان الخلد إن عبقت نشر
 ويشرب كأساً صرفة من مُدامة
 فيا حبذا كأس ! ويا حبذا خمراً (١)
 فلا غول فيها لا ولا عنها نزفة
 وليس لها بردٌ وليس لها حر (٢)
 ولا هو بعد المزج أصفر فاقع
 ولا هو قبل المزج قان ومخمّر (٣)
 معتقة من قبل كسرى مصونة
 وماضمها دنٌ ولا نالها عصر (٤)
 ولا شائها زقٌ ولا سار سائر
 بأجمالها كلاً ولا نالها تجر (٥)
 فلو نظر الأملاك ختم إنائها
 تخلوا عن الأملاك طوعاً ولا قهر (٦)
 ولو شمت الأعلام في الدرس ريحها
 لما طاش عن صوب الصواب لها فكر (٧)

(١) في "م" فيشرب. وفي البيت الآتي : وليس بها، في "م"، وت، والغول من غالية الخمر : إذا افسدت عقله، ونهبت به.
 (٢) استفاد الشاعر من الآية الكريمة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ الصافات ٤٧. والشاعر يتحدث عن
 خمرة الصوفية المعنوية (م).

(٣) في "م" قان محمر.

(٤) في "م" ولا ضمها.

(٥) في "م"،

بأجمالها ولا تملكها التجر.

زق ولا حسدا حادي

(٦) في "م" فلو رات. و: تخلت عن. وكذلك في "ت" وت.

(٧) في "م" لما طاشوا عن صوب الصواب وما اغتر.

فَيَا بَعْدَهُمْ عَنْهَا ! وَيَا بَيْئَسَ مَا رَضُوا !
 فَقَدْ صَدَّهُمْ قَصْدٌ وَسَيَّرَهُمْ وَزْرٌ^(١)
 هِيَ الْعِلْمُ كُلُّ الْعِلْمِ وَالْمَرْكُزُ الَّذِي
 بِهِ كُلُّ عِلْمٍ، كُلُّ حِينٍ لَهُ دَوْرٌ
 فَلَا عَالَمٌ إِلَّا خَبِيرٌ بِشَرِّبِهَا
 وَلَا جَاهِلٌ إِلَّا جَاهِلٌ بِهَا غِرٌّ
 وَلَا غِبْنٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا مِنْ رَزِيئَةٍ
 سِوَى رَجُلٍ عَنْ نَيْلِهَا حَظٌّ نَزْرٌ^(٢)
 وَلَا خُسْرٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا هُوَ خَاسِرٌ
 سِوَى وَالِهِ وَالْكَفُّ مِنْ كَاسِهَا صِيفٌ^(٣)
 إِذَا زُمَزَمَ الْحَادِي بِذِكْرِ صِفَاتِهَا
 وَصَرَخَ مَا كُنْتُ وَنَادَى نَائِي الصَّبْرُ^(٤)
 وَقَالَ : اسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي : هِيَ الْخَمْرُ
 وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا امْكَنَ الْجَهْرُ
 وَصَرَخَ بِمَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى
 فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرٌ^(٥)
 تَرَى سَائِقِيهَا كَيْفَ هَامَتْ عَقُولُهُمْ
 وَنَازَلَهُمْ بِسْطٌ وَخَامَرَهُمْ سَكْرٌ^(٦)
 وَتَاهُوا فَلَمْ يَدْرُوا مِنَ التَّيْبِ مَنْ هُمْ
 وَشَمَسَ الصُّحَى مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ عَفْرٌ
 وَقَالُوا : فَمَنْ يُرْجَى مِنَ الْكُونِ غَيْرُنَا ؟
 فَتَحْنُ مَلُوكَ الْأَرْضِ لَا الْبَيْضُ وَالْحُمْرُ^(٧)

(١) فِي "م" عَمَاهُمْ قَعَدُوا لَهُ. وَ: فَقَصَدَهُمْ قَصْدًا. وَكَذَلِكَ فِي "ت".

(٢) فِي "م" فَلَا. وَ: لَا هُوَ مَغْبُونٌ. وَ: رَجُلٌ مِنْ شَرِّبِهَا.

(٣) فِي "م" سِوَى مِنْ غَدَا.

(٤) فِي "م" مَا كُنْتُ لَا خَوْفٌ وَلَا حَذَرٌ.

(٥) الْبَيْتَانِ لِأَبِي نَوَاسٍ وَالْأَوَّلُ مِنْهُمَا هُوَ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ «الْأَفَاسِقُنِي خَمْرًا» [دِيَوَانُ أَبِي نَوَاسٍ، شَرْحُهُ وَضَبْطُهُ: د.عَمْرُ فَارُوقُ الطَّبَّاعُ، دَارُ الْأَرْقَمِ - بَيْرُوتُ ١٩٩٨ - ص ٢٢٢].

(٦) فِي "م" تَرَى الذَّائِقِينَ مِنْهَا هَامَتْ. وَابْيَضَ فِي "أ" وَ"ت".

(٧) فِي "م" الْبَيْتُ :

"قَالُوا : مَنْ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ غَيْرُنَا ! فَتَحْنُ الْمُلُوكَ لَا السُّودَانَ وَلَا الْحُمْرَ"

تَمِيدُ بِهِمْ كَأْسٌ بِهَا قَدْ تَوَلَّهُوا
 فَلَيْسَ لَهُمْ عَرْفٌ وَلَيْسَ لَهُمْ نَخْرٌ^(١)
 حَيَارَى... فَلَا يَدْرُونَ أَيْنَ تَوَجَّهُوا
 فَلَيْسَ لَهُمْ ذِكْرٌ وَلَيْسَ لَهُمْ فَكْرٌ^(٢)
 فَسَيُطْرِبُهُمْ بَرْقٌ تَالِقٌ بِالْحَمَمَى
 وَيُزْزِقُ صَوْنَهُمْ رَعْدٌ بِسُلْعٍ لَهُ أَرْزٌ^(٣)
 وَيَسْكُرُهُمْ طَيْبُ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى
 تَظُنُّ بِهِمْ سَحَرًا وَلَيْسَ بِهِمْ سَحَرٌ^(٤)
 وَتَبْكِيهِمْ وَزَقُّ الْحَمَامَائِمِ فِي الدَّجَى
 إِذَا مَا بَكَتْ مَنْ لَيْسَ يُدْرَى لَهُ وَخْرٌ^(٥)
 بِحَزْنٍ وَتَلْحِينٍ تَجَاوِبُثْنَا بِمَا
 تَذُوبُ لَهُ الْأَكْبَادُ وَالْجَلْمَدُ الصَّخْرُ^(٦)
 وَتَسْبِيهِمْ غَزْلَانُ رَامَةٍ إِنْ بَدَتْ
 وَاحِدَاقُهَا بَيْضٌ وَقَامَاثُهَا سُومَرٌ^(٧)
 وَفِي شَمِّهَا حَقًّا بَذَلْنَا نَفْسَنَا
 فَهَانَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ لَهُ قَدْرٌ^(٨)
 وَمِلْنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَالْأَهْلِ جَمَلَةً
 فَلَا قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ تَنْنِي وَلَا الْقَصْرُ^(٩)

-
- (١) فِي "م" بِهِم الْفَرَاخُ. وَ: فَمَالَهُمْ.
 (٢) فِي "م" فَمَالَهُمْ. وَ: وَمَالَهُمْ.
 (٣) فِي "م" لَهُ أَرْزٌ [وَالْأَرْزُ هُنَا: الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ] (م).
 (٤) فِي "م" نَسِيمٌ يَحْدُ. وَ: وَمَا بِهِمْ.
 (٥) فِي "م" بِالْأَجَى. وَ: لَهُ وَكَرٍ [وَاخْتَرْنَا رَوَايَةَ التَّحْفَةِ وَالْمَوَاقِفِ].
 (٦) فِي "م" تَجَاوِبُ تِلْكَ هَذِهِ بِتَخْزَنَ. الْجَلْمَدُ: الصَّخْرُ، الْحَجَرُ.
 (٧) فِي "م" وَاحِدَاقُهَا نَبْلٌ، وَاجْيَادُهَا سَمَرٌ [رَامَةٌ مَوْضِعٌ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ. وَيَذْكُرُهَا الشُّعْرَاءُ كَثِيرًا. وَهَنَّاكَ مَوَاضِعٌ أُخْرَى بِاسْمِ رَامَةٍ] (م).
 (٨) فِي "م" وَفِي شَمِّ رِيحِهَا. وَ: فَهَانَتْ وَهَانَ كُلُّ شَيْءٍ.
 (٩) فِي "م" الطَّرَفُ غَنَتْ، وَفِي الْبَيْتِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ عَيْنٌ﴾. الصَّافَاتُ: ٤٨.

ولا عَنْ أَصْنَائِبِ الذَّوَائِبِ مِنْ غَدَتِ
 مَلَاعِبِهِمْ مَنِّي : التَّرَائِبُ وَالنَّخَرُ^(١)
 هَجَرْنَا لَهَا الْأَحْبَابَ وَالصَّحْبَ كُلَّهُمْ
 فَمَا عَاقَبْنَا زَيْدٌ وَلَا رَاقَبْنَا بَكْرٌ^(٢)
 وَلَا رَدُّنَا عَنْهَا الْعَوَادِي وَلَا الْعَدَا
 وَلَا هَالِنَا قَفَرٌ وَلَا رَاعِنَا بَخْرٌ
 وَفِيهَا حَلَا لِي الذَّلُّ مِنْ بَعْدِ عَزْمٍ
 فَيَا حَبِذَا هَذَا وَلَوْ بَدَّوْهُ مُرٌ^(٣)
 وَذَلِكَ مِنْ فُضْلِ الْإِلَهِ وَمَنْتُهُ
 عَلَيَّ فَمَا لِلْفَضْلِ عَدُوٌّ وَلَا حَصْرٌ^(٤)
 وَقَدْ أَنْعَمَ الْوَهَابُ فَضْلًا بِشَرِبِهَا
 فَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ وَلِلَّهِ الشُّكْرُ
 فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْأَرْضُ : أَنْتُمْ وَشِئَانُكُمْ
 فَقَسَمْتُكُمْ ضِيَّزَى وَقَسَمْتُنَا كَثْرٌ^(٥)
 خذِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَىٰ؛ أَبَاغِيهِمَا مَعَا
 وَهَاتِ لَنَا كَاسًا فَهَذَا لَنَا وَفَرٌ^(٦)
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا شَيْخَنَا خَيْرَ مَا جَزَى
 بِهِ هَادِيًا فَالْأَجْرُ مِنْهُ هُوَ الْأَجْرُ
 أَمْوَالِي ۚ إِنِّي عَبْدٌ نَعْمَائِكَ الَّتِي
 بِهَا صَارَ لِي كَنْزٌ وَفَارَقَنِي الْفَقْرُ^(٧)

(١) فِي "م" عَنْ أَصْحَابِ الذَّوَائِبِ غُلَامَانِ. الذَّوَائِبُ : صِفَاتُ الشَّعْرِ، وَذَوَائِبُ الْقَوْمِ : طَلَائِعُهُمْ.

(٢) فِي "م" وَلَا رَاعِنَا بَكْرٌ.

(٣) فِي "م" عَزَّتِي. وَ: وَلَوْ فِي أَوَّلِهِ.

(٤) فِي "م" مَنْ مِنْ الْإِلَهِ وَفَضْلُهُ.

(٥) فِي "م" لِلْمُلُوكِ شَانَهُمْ وَمَا رَمَتُمْ. وَالْبَيْتُ تَضَمَّنَ مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿تِلْكَ إِذْ نَسِيتُ ضِيَّزَى﴾. النِّجْم :

٢٢ . [قُرئ: ضِيَّزَى بِالْيَاءِ وَضِيَّزَى (بِالْهَمْزِ) قَرَأَ بِهَا ابْنُ كَثِيرٍ] وَالْمَعْنَى: جَائِزَةٌ عَنِ الْعَدْلِ [م].

(٦) فِي "م" نَعْمَ لَنَا.

(٧) فِي "م" إِنِّي عَبْدٌ نَعْمَائِكَ. وَ: بِهَا صَحَّ لَهُ الْغِنَى.

وصرتُ مليكًا بعدمَا كنتُ سوقةً
 وساعدني سعدٌ فحصبَاؤُنَا در^(١)
 أمولاي! إني عبيدُ بابك واقفٌ
 لفيضك محتاجٌ لجودك مضطر^(٢)
 فمُرْ أمرَ مولي للعبيد فإنني
 أنا العبدُ ذاك العبدُ لا الخادمُ الحر^(٣)
 هنيئًا لنا يا معشرَ الصَّحْبِ! إننا
 لنا حصنٌ آمنٌ ليس يطرقُه دُغرٌ
 فنحنُ بضوءِ الشمسِ والغيرِ في دجى
 وأعينهم غمي وأذانهم وقْر^(٤)
 ولا غرو في هذا وقد قال ربُّنا :
 تَراهمُ: عيونٌ ينظرونَ ولا بصر^(٥)
 وغيمُ السَّماهما سما هانَ أمرُهُ
 فليس يُرى إلَّا لمن ساعدَ القَدْر^(٦)
 ألا فاعملُوا شكرًا لمن جادَ بالذي
 هدانا ومن نعمائه عمَّنَا اليُسْرُ
 وصلُّوا على خيرِ الورى خيرِ مرسلٍ
 وروحِ هداةِ الخلقِ حقًّا وهم ذُر^(٧)
 عليه صلاةُ الله ما قال قائلٌ :
 امسعودُ! جاء السعدُ والخيرُ واليسرُ

(١) السوقة: الرعية تسوسها الملوك (م).

(٢) في "آ"، و"ت" لجدواك.

(٣) في "م" فمرني كما يكون للعبد من مولى.

(٤) في "م" في ضوء. و: في أذانهم.

(٥) في "م" فقد قال. و: تراهم ينظرون ليس لهم بصر.

(٦) في "م" ونجم السما. و: ساعده.

(٧) في "م" الخلق مذوهم در.

غيب

[من الطويل]

أيا نفس إن الأمر غيبٌ فما تدري
بماذا يكونُ الكشفُ في آخرِ العمرِ^(١)
فإمّا بشيٍرٍ باللقاء وبالرضى
على طولٍ عتَبٍ بالزيارة للزور^(٢)
وإمّا بضدٍّ بل ولا كان ضدُّ ذا
تعالى إلهي عن عذابي وعن ضرِّي
وليس تلافٍ بل ولا ردُّ فـائتٍ
هناك ولا يجدي سوى الجبر للكسرِ
أليس لهذا الخطبِ - ويحك - شاغلٌ
عن الأهل والأصحابِ زيدٍ وعن عمرو
أيا سامعَ الشكوى ! ويا دافعَ البلا !
ويا منقذَ الغرقى ! ويا واسعَ البر !
تجهتْ لكم وجهي باكرمٍ شافعٍ
محمد المبعوث للعبد والحر
لترسل لي عند الوفاة مبشراً
برضوانك الأوفى وفوزي في الحشر

(١) القصيدة في ١٢، ص : ٤٠ و ٤١، ص : ٢٠٤، ٢٠٥ الأمر : الآخرة.

(٢) الزور : الذي يزور.

مسكين... لم يذق طعم الهوى

[من البسيط]

أوقاتٌ وصلكمُ عيْدٌ واقـراحُ
يا من هُمُ الرُّوحُ لي والرُّوحُ والـراحُ^(١)
يا من إذا اكـتـحلت عيني بطلعتهم
وحققت في محيّا الحسنِ تـرتـاحُ^(٢)
دبّت حميّا هُمُ في كل جـوهرة
عقل ونفس وأعـضاء وأرواحُ^(٣)
فمما نظرتُ إلى شيء بدأ أبداً
إلا وأحسبـاب قلبي دونه لـاخـوا^(٤)
نظرتُ حسنَ الذي لا شيء يشبـهـه
فمما يروقُ لقلبي بعـد مـلاحُ^(٥)
وليس في طاقستي الرؤيا لـغـيرهم
ولو قلّـتني الوري في ذاك أو شاخـوا^(٦)
غسـرقت في حبهم دهرًا لم ترني
في بحرهم سفنٌ - حقًا - ومـلاحُ^(٧)

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٤٩، ٥٠ و"م"، ص: ١٦، ١٧ و"ن"، ص: ١٢٥، ١٢٩ و: الروح: الراحة، والراح: الخمرة.

(٢) في "م" وخففت.

(٣) في "م" في كل جوهرة حمياهم، الحميا: ما تتركه الخمرة من اثر في الجسم، وفي القافية إقواء.

(٤) في "م" أبدا إلى شيء بدأ.

(٥) في "م" فلا يروق.

(٦) في "م" لطاقة. و: لذاك. قلّـتني: هجرتني [يقال: اشاح بوجهه: نكاه، وأعرض، والفعل مزيد بالهمزة] (م).

(٧) في "م" دهرًا وما انذا [حق كلمتي (سفن وملاح) النصب، ولابد من التاويلات البعيدة لقبول النص على حاله] (م).

ماذا على مَنْ رأى - يوماً - جمالهم
 أن ليس تَبْدُو له شمسٌ وإصباحُ
 جبالٍ مكة لو شامت محاسنهم
 حنُّوا ومن شوقهم نأحوا وقد صأحوا^(١)
 شهبُ الدراري مدى الأيام سابحة
 لو أبصرتهم لما جاؤوا ولا رأحوا^(٢)
 لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
 صبرُ المحبين : ما نأحوا ولا بأحوا
 أريدُ كتمَ الهوى حيناً فيمنعني
 تهتكى كيف لا؟ والحبُّ فضأح
 لاشيء يثني عنائي عن محبتهم
 ولا الصوارم في صدري وأرمأح^(٣)
 قال العواذل : فيك السحرُ قلت لهم :
 نعم ! ولي صحة فيه وإصلاح^(٤)
 لا زال يربو مع الأنثى بي أبداً
 فلي به بين أهل الحبِّ أمداح^(٥)
 يا عاذلي ! كن عذيري في محبتهم
 فإن قلبي بما يهواه مشأح^(٦)
 إن الملام لإغراء وتقوية
 مهلاً ! فإنك مكثار وملأح^(٧)

(١) في "م" أجمال، و: رات محياهم. وشام : أبصر، وتبع الشيء بعينه.

(٢) في "م" مدى الزمان.

(٣) مجرى الكلام: «ولا الصوارم الموجهة إلى صدري ولا الأرمأح، وقد عطف الشاعر النكرة على المعرفة، ولم يكرر لا النافية التي يحسن الكلام بها. (م)»

(٤) في "م" قال العذول بكم سحر، فقلت لهم، وذا السحر صحة.

(٥) في "م" أهل العشق [«أمداح» ترد عند الأندلسيين والمغاربة لمعنى مدائح. وهي غير معجمة] (م).

(٦) في "م" تهواه. وأيضاً في "أ".

(٧) في "م" وتقوية.

إني لأهجرُ خالاً لا يحـدُّني
 عنهم وتحرُّمُ في التـوراة الواح^(١)
 شرعُ المحبةِ قاضٍ في حكومتـه
 بصـرْمِ خلٍّ من الأشـجانِ يرتاح^(٢)
 مسكينٌ ! ما ذاقَ طعمَ العشقِ منذ بدا
 ولا استـفرَّجته من لقمانِ أرواح^(٣)
 فما نديمي بحـانِ الأنسِ غيرُ فتى
 له لأخبـارهم نشرٌ وإيضاح^(٤)
 لا كسبٍ لي بل ولا شغلٍ ولا عملٍ
 ففي حـديثهم تجرُّ وأرباح^(٥)
 ما جنةُ الخلدِ إلا في مجالسهم
 فيها ثمارٌ وأطيـارٌ وأرواحُ
 هوَى المحبِّ لدى المحبـوبِ حيث ثوى
 وكيفـما راحَ هبَّت منه أرواح^(٦)
 أودُّ طولَ الليـالي إن خلوتُ بهم
 وقد أدبرتُ أباريقُ واقـداح^(٧)

-
- (١) في "م" عنهم وماله من توراتي. وفي "أ" ويحرم من توراتي الواح.
 (٢) في "م" غدا من شجوني.
 (٣) في "م" الشطر الثاني : "في ذاق من جملة الأنعام سراح. روح لقمان : هو الأمونياك يشمم منه المغمى عليه ليستفيق. وبعد البيت يأتي بيتان في "م" و"أ"، وهما :
 "ما بات يرعى النجوم ساهرا قلقا
 أساود الشوق في أحشائه طاحرا
 مسادب في عظمه خمير الهوى أبدا
 «ولا يشـجسه من سـجسـاد أرواح»
 وفي "أ" و"فذاك من جملة الأنعام سراح".
 (٤) في "م" ولا سميري بحان.
 (٥) في "م" لي غير موجود.
 (٦) في "م" أدواح.
 (٧) في "م" أين ثوى. و: يرتاح مهما تهب. الخلوة، والاقداح، والأباريق : ترمز إلى معاني صوفية صرفة.

يَرُوعُنِي الصَّبْحُ إِن لَّاحَتْ طَلَائِعُهُ
يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ ضَوْءٌ وَإِصْبَاحُ
لَيْلِي ! بَدَا مَشْرِقًا مِنْ حَسَنِ طَلْعَتِهِمْ
وَكُلُّ ذَا الدَّهْرِ أَنْوَارٌ وَأَفْـ____رَاحٌ^(١)
أُسْكُنْ فَوَادِي ! وَطِبْ نَفْسًا وَقِرْلَقْدُ
بَلِغْتَ مَارِمْتَ قَرُّ النَّاسِ أَوْ سَاخُوا^(٢)
وَاطْلُبْ إِلَهَكَ مَا تَرْجُو فَإِنَّ لَهُ
خَزَائِنًا مَالَهَا قِفْلٌ وَمِفْتَاحٌ^(٣)

(١) فِي "م" لَيْلَهُ بَدَا مَشْرِقًا. وَ: الدَّهْرُ كُلُّهُ أَنْوَارٌ.

(٢) فِي "م" وَقَرْنَا عَمَّا شَاكِرٌ.

(٣) فِي "م" إِلَهَكَ فِي الْمَزِيدِ. وَ: خَزَائِنًا [وَصَرَفَ «خَزَائِنُ» لِلضَّرُورَةِ] (م).

أنا الحب والمحبوب والحب جملة

[من الطويل]

عن الحُبِّ مَالِي كُلَّمَا رَمْتُ سِلْوَانًا
أَرَى حَشَوَ أَحْشَائِي مِنَ الشَّوْقِ نِيرَانًا (١)
لَوَاعِجُ لَوْ أَنَّ الْبَحَارَ جَمِيعَهَا
صَبَبْنِ لَكَ الْخَرُّ أضعافاً مَآكِنًا (٢)
تَلِجُ إِذَا مَا نَجَدُ هَبْ نَسِيمُهَا
وَتَذْكُـوْ بِأَرْوَاحِ تَنَآوُحِ الْوَانَا (٣)
فَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ طَرًّا شَرِيبُثَةً
لَمَا نَالَنِي رِيًّا وَلَا زِلْتُ ظَمْـثَانًا
وَإِنْ قُلْتُ - يَوْمًا - قَدْ تَدَانَتْ دِيَارُنَا
لَأَسْلُو عَنْهُمْ زَادَنِي الْقَرِيبُ أَشْجَانًا
فَمَا الْقَرِيبُ لِي شَافِرٌ وَلَا الْبَعْدُ نَافِعُ
وَفِي قُرْبِنَا عَشْقٌ دَعَانِي هَيْمَانًا (٤)
وَفِي بَعْدِنَا شَوْقٌ يَقْطَعُ مَهْجَتِي
كَتَقْطِيعِ بَيْتِ الشُّعْرِ لِلنَّظْمِ مِيزَانًا (٥)
فِي زِدَادِ شَوْقِي كُلَّمَا زِدْتُ قَرِيبَةً
وَيَزْدَادُ وَجْدِي كُلَّمَا زِدْتُ عَرْفَانًا

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٥٠، ٥١ و: "ص"، ص: ٢٩٩، ٣٠١

(٢) اللاعج: حرقه الحب.

(٣) في "أ" تاج. و: تنأوخ. و: بلج: تتوقد وتزفر. و: أرواح: رياح. وتذكو: تزداد اشتعالاً.

(٤) هام في الحب: سار على غير بصيرة وبراية.

(٥) أراد أن الشوق قطع مهجته كما يقطع البيت الشعري إلى تفعيلات، أي إلى أجزاء.

فـيـا قـلـبـي المـجـرـوح بـالـبـعـد والـلـقـا !
 دـواك عـزـيز لـست تـنـفـك وـلـهـا نـا
 ويا كـبـيـدي ذـوبـي اسـئـى وتـحـرقـأ !
 ويا نـاظـري ! لا زلت بـالـدمـع غـرقـا نـا
 اسـأئل عـن نـفـسي فـإني ضـلـلـتـها
 وـكـان جـنـوني مـثـل ما قـيل : افـئـا نـا
 اسـأئل مـن لا قـيـت عـني وإلـهـا
 و لا اتـحـاشـاهـم : رـجـالاً وركـبـانـا
 اقـول لـهـم : مـن ذا الذـي هـو جـامـعـي
 ويا خـذني عـبـداً مـدى الدـهر حـلـوانـا
 وأسـال عـن نـجـد وفـيـه مـخـيـمي
 وأطـلب روض الرقـتين ونـعمـانـا^(١)
 مـنازل كـانـت لـي مـصـيفاً ومـربـعاً
 غـداة بـهـا أذـعى صـبـياً وشـيـبـانـا
 ومـن عـجـب ما هـمـت إلا بـمـهـجـتي
 ولا عـشـقت نـفـسي سـواها وما كـانـا
 أنا الخـبـ والمـحـبـوب والخـبـ جـمـلة
 أنا العـاشـق المـعـشـوق سـراً وإعـلانـا^(٢)



(١) «نجد، و«الرقان، و«نعمان» مواضع ذكرها شعراء الغزل كثيراً في العصور المختلفة. واستفاد منها الشاعر في العشق الصوفي الذي طوع لنفسه أدوات أغراض شعرية متعددة (م).
 (٢) البيت أدى معنى وحدة الوجود عند المتصوفة بحسب وجهة نظر «ابن عربي» أحد أئمتهم.

أي واد صبحوا

[من الرمل]

ليتهم إذ ملكوني اسججوا
ليتهم إذ ما عفووا أن يصفحوا^(١)
رحلوا العيس ولم اشغربهم
ليت شعري أي واد صبجوا^{١٩}
اخذوا قلبي وماذا ضرهم
أن يكوئوا بجميعي جنحوا^{١٩}
أي عيش يهنا لي من بعدهم^{١٩}
طار قلبي وعظامي ملحوا^(٢)
ويح أهل العشق هذا حظهم
هلكي امهما كتموا او صرحوا^(٣)

-
- (١) الأبيات في م، ص : ١٣٩٣ ون، ص : ١٢٩، ١٣٠ [أسجج أي احسن العفو. يقال: ملكت فاسجج] (م).
(٢) يهنا : مقصور من يهنا، تملحت العظام : تعبير شعبي مستعمل بصيغة أخرى في الجزائر كقولهم :
"روح اتملح اعظامك" وهو بهذا المعنى دعاء بالهلاك والويل [يلزم حذف الف «يهنا»، و«هلكي» في البيت
القالي والاكتفاء بالفتحة قبلها ليستقيم الوزن] (م).
(٣) في البيت زحاف في عبارة «هلكي»، وهو مستقيح في حشو البيت.

وحدة الوجود(*)

[من مجزوء الرمل]

أنا خَلَقْتُ أنا خَلَقْتُ
أنا رَبُّ أنا عَزَّيْبُ^(١)
أنا عَزَّيْبُ أنا فَرَشْتُ
وَجَدْتُ أنا خَلَدْتُ
أنا مَاءُ أنا نَارُ
وَهَوَاءُ أنا صِلْتُ
أنا كَمُّ أنا كَيْفُ
أنا وَجَدْتُ أنا فَتَقَدْتُ
أنا ذاتُ أنا وَصَفْتُ
أنا قَرَّبْتُ أنا بَعَدْتُ
كُلُّ كُنْ ذاك كُنْ وِني
أنا وَحْدِي أنا فَرَدْتُ

(١) الأبيات في "م"، ص: ١٢٢٤، و: "ص"، ص: ١٣٦، في "م" أنا حق أنا خلق. في "ص" وردت عدة صور لبعض ما في هذه الأبيات على أنها اثبتت في "المواقف" وبالعودة إلى "المواقف" لم نجد أي خلاف بين ما ثبت في الديوان نسخة "حقي" المعتمد في تحقيقنا أصلاً وما في "المواقف"، فلا ندري أي طبعة للمواقف عنها «صيام»، وبخاصة وهو لم يثبت ذلك في أي هامش كان عدا كلمة «المواقف»، وكذلك لم يذكر مصادره ولا مراجعه بالمعلومات المطلوبة في مكان تحقيقه للديوان كما لم يثبت قائمتها في بداية الديوان أو نهايته.

هو الباطن هو الظاهر(*)

[من الطويل]

أردتُ طريقي في الرسوم فلا أرى
سوى مَنْ به كانت : رسوماً وأثاراً^(١)
واسألها عنه فكلُّ أجابني
بأنه ما رآه يوماً ولا أدرى
فقلتُ لهم : هذا عجيبٌ أفانني
ما ابصرتُهُ إلا بكم متظاهراً
عرفتُهُ منكم ثم زاد في عرفاننا
باننسي إياه ولكن منكرًا
عجبتُ له كيف اختفى بظهوره^{١٩}
فعيني حجابهُ الظهورُ ولا أنفراً
أفاعجِبُوا من ظاهرٍ في بطونه
ومن باطنٍ لا زال باهر وظاهراً

(*) تبدو المقطوعة غير متماسكة في الوزن، ولعل الشاعر قد نظمها في حالة غيبوبة صوفية كما ذهب إلى ذلك حقي، وهو ما جعلها كذلك. أو أنه عمد إلى هذا الأسلوب عمداً لتسهيل أدائها من لدن حلقات الصوفية.

(١) المقطوعة في "م"، ص : ١٣٩٣، و : "ص"، ص : ١٥٥ وقد أخذ صاحب المواقف المقطوعة عن الديوان بحسب ما في الهامش، لهذا جاءت مطابقة مع المثبتة في الديوان.

كما كنت

[من مجزوء الرمل]

هُنْ إِذَا سَاعَدَكَ الدَّهْرُ فَذُو الْعَقْلِ يَهُونُ^(١)
فَإِذَا حَطَّكَ دَهْرُ فَكَمْ كُنْتَ تَكُونُ

(١) البيتان من شعر السُّمَيْسِرِ الإلبيري الأندلسي (وهو أبو القاسم خلف بن فرج المتوفى ٤٨٤ هـ) أوردهما ابن الأثير في كتابه «التكملة لكتاب الصلوة» (٢: ٤٧٠) في دَرْج ترجمة أبي بكر محمد بن جعفر اللخمي القرطبي. قال ابن الأثير: قرأت بخط ابن النعمة حنكني الفقيه المقرئ محمد بن جعفر القرطبي نزيل بلنسية في عقب شهر ربيع الأول سنة ٥١٢، قال أنشدني الشاعر السُّمَيْسِرُ بقرطبة:

هَنْ إِذَا مَا نَلْتَ حَطًّا فَأَخْرَ الْعَقْلَ يَهُونُ
فَمَتَى حَطَّكَ دَهْرٌ فَكَمْ كُنْتَ تَكُونُ

والاختلاف يسير بين هذه الرواية، وما ثبت في رواية ديوان الأمير عبد القاسم. وقافية هذا الشعر يصح أن تكون مطلقة (يهون؛ تكون) ويصح أن تكون مقيدة (يهون؛ تكون). ولا شك عندي في أن الأمير عبد القادر لم يدخل النص في شعره؛ ولكن جمع الديوان من أوراق الشاعر الأمير يقتضي التدقيق، والتحقيق، وإعادة النظر أيضاً. ووجود هذا الشعر، وغيره من أشعار الأندلسيين في أوراق الأمير وكتبه يبين وجهاً من وجوه مصادر ثقافته المتعددة. وكان للأندلس مكانة مهمة (م).

الموقف

و- الملحقان؛

أ- شعر «الموقف»

حديث عجب!

[من البسيط]

لا تعجَبُوا من حديثي جلُّ عن عجبٍ
حقيقٌ قولِي لا لغو ولا كذب^(١)
ولدت جدي، جدته وبعدهما
أبسي تسولسد عن أمي وأيُّ أبٍ
وبعدَ ذا ولدوني بعد كوني أنا
ووالدي البرُّ توامان في صلب^(٢)
وكنْتُ من قبلُ في الحبورِ ترضعُني
بطيبِ البانِهاتِ الأمَّاتِ لأترب^(٣)
وليسَ يذري الذي أقولُ غير فتى
قد جاوز الكونَ من عينٍ ومن رُتبِ

(١) المقطوعة، في 'ص'، ص: ١١٤، وفي القافية إقواء.

(٢) في الأصل: «تومان»، وأصلحنا الكلمة بما يوافق المعنى والوزن (م).

(٣) في الأصل: «الأمهات»، وهذه تقال في العاقل والأمات في غير العاقل، وقد ترد الواحدة في مكان الأخرى لغرض بلاغي، أو لضرورة (م)، وفي القافية إقواء.

أنا مطلق

[من الطويل]

أنا مطلق لا تطلبوا - الدهر - لي قيـداً
ومالي من حدّ فلا تبغوا لي حدّاً^(١)
ومالي من كيفر فيضبطني لكم
ولا صورة لا اعدو منها ولا بداً
وما لي شأن يبقي أنين ثابتاً
وإن شئوني لا يحاط بها عداً
ومالي من مثل ومالي من ضدّ
فلا تطلبوا مثلاً ولا تبغوا لي ضدّاً^(٢)
ولا تنظروا غيري من كل صورة
فلا تنظروا عمراً ولا تنظروا زيدا
ولا تطلبوا غيري فما هو كائن
سوى خيالات تحسبون لها وجداً^(٣)
وما هي إلا سترة قد نصبت لها
لأبله عقل صبحت عيئه رمداً^(٤)
الا فانظروا إلى الحبيب وفكروا
فهل غيره ما صار صورته زيدا
فلا كائن إلا أنا به ظاهر
ولا كائن يكون لي أبداً قـيـداً
ولا باطن إلا أنا ذاك باطن
ولا ظاهر غيري فلا أقبل الجـداً

(١) القصيدة في ص، ص: ١٣٩، ١٤١

(٢) في البيت كسر عروضي [وينضبط بخطف صوت الواو من «تبغوا»، وهذا كثير في هذه الأشياء الصوفية خاصة] (م).

(٣) في البيت كسر عروضي ووجدأ أراد وجوداً [ولا بد من خطف الألف الأولى من: «خيالات»] (م).

(٤) أراد أن ما اعتقده عقل الأبله حقيقة وواقعاً فهو غير ذلك. أي أن من يثق في الدنيا كمن أصيب بالرمد، أي أنه لا يرى الأشياء على حقيقتها، [الشطر الثاني في الأصل: لأبله عقل صور صبحت..] (م).

فقلّ عـالـمٌ وقلّ إلـه وقلّ أنا
 وقلّ أنـتَ وهـو لستَ تخـشى بهِ ردّاً
 تعددتِ الأسـمـا وإني لواحدٌ
 ألا فاعبـدوني مطلقاً فزها فرداً
 أنا قيسٌ عامرٌ وليلى محققاً
 محبباً ومحبوباً وبينهما ودّاً^(١)
 أنا العابدُ المعبـودُ في كل صورةٍ
 فكنتُ أنا ربّاً وكنتُ أنا عبـداً
 فطوراً تراني للكنائسِ مسـرّعاً
 وفي وسطى الزنارِ أحكمـتـه شدّاً^(٢)
 أقولُ بإسمِ الابنِ والابِ قـبـلة
 وبالروحِ روحِ القـدسِ قصداً ولا كـيـداً^(٣)
 وطوراً بمدراسِ اليـهـودِ مدرّساً
 أقـررُ تـوراةَ وأبدي لهم رشداً
 فما عبـد العـزیزُ غـیري عابداً
 ولا أظـهـر التـلـيـث غـیري ولا أبـدى
 ولا أورى نارَ الغـرسِ غـیر مـؤري
 وما قالَ بالاثـنـينِ إلّا أنا لـحـداً
 أنا عينُ كلِّ شـيءٍ في الحـسـنِ والمعنى
 ولا شـيءٍ عيني فاحذر العكسَ والطرداً^(٤)

(١) في القافية إقواء.

(٢) الزنار: ما يشد على الوسط والبيت في "ص":

"فطوراً تراني مسلماً أي مسلماً زهداً نسوگاً خاضعاً طالباً مداً"

(٣) من هذا البيت إلى البيت الأخير غير موجودة في "ص".

(٤) في "ص" في الحسن والمعنى. [يكشف هذا النص - وما شابهه - موقف الأمير الشاعر من التصوف ورؤيته التي صدر عنها. وأقرب شاهد مشهور لأبيات الأمير الأخيرة من القصيدة قول محيي الدين بن عربي وهو يعبر عن «الفرقة الكلية» (ترجمان الأشواق ٣٩-٤٠ بيروت ١٣١٢هـ).

لقد صار قلبي قساً بلا كل صورة

فمـرعى لغـزلانٍ وديـرٍ لـرهبـانٍ

وبيت لاثـنـانٍ وكـمـبـابة طائفـة

بالواج تـوراةٍ ومـصـحـف قـرآن

أدينُ بدين الحب أنى توجّهت

رکائبـه فـسـالـحـب دیني وإيمانـي (م)

الذي أفناني (*)

[من الطويل]

أرى الذي أفناني سيـ خلقني بعدُ
يقوم برسمنا في شمله الحد^(١)
لذلك أرى اسمه يعينُ رسماً
يجيب إذا دُعي لا ردُّ ولا جـ
فما بالهم يدعونه عبد قادر
ولم يبق إلا قادر ماله عبد^(٢)
لقد باد من قد كان من قبل بائداً
و زال خيال الظل وارتفع السد
و زال عن العقل المصون حجاب
فصار ضلالاً ما يراه له رشـ^(٣)
فلست أنا ذاك الذي تعرفونه
الآ قاطبوا من ذا يكلمكم قصـ
ولست أنتم الذين عرفتهم
فما غمركم غمرو ولا زيدكم زيد
لقد ضاق صدري بالذي أنا واجـ
وتعبيري ما يفي فيبدو ولا يبدو
الآ فاغذروا من ذاق إن ضاق صدره
كما أن من قد ذاق عاذركم يغـ

(*) القصيدة في "ص"، ص: ١٣٨، ١٣٩.

(١) القصيدة في مضمونها تستفيد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٢٦، ٢٧ [ولابد من خطف ياء (الذي) ليستقيم الوزن] (م).

(٢) عبد القادر: أراد الشاعر نفسه.

(٣) البيت كنى به عن يوم القيامة كما في الآية: ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَنْحَلُّ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ أَرْضِهَا﴾ الحج: ٢، وفي القافية إقواء، وكذلك قافية البيت التالي.

تجلى المحبوب(*)

[من الطويل]

تجلى له المحبوب من حيث لا يرى
فأعجب به أراه من حيث لا أرى
وغيبني به فغاب رقيبنا
وزال حجاب البين وانحسم المرا
فصرت أراه كل حين ولحظة
وقد كان غائباً وقد كان حاضراً
وما عرف الخلق إلا بجمعه
لضدين من كل الوجوه تناقراً
وواصلني فلا تناكر بعد ذا
وقربني فكان سمعاً وباصراً
اسر إلي حيث لا بين بيننا
بسراً حكى لطف النسيم إذا سرى
ولا طفني بقوله الحق معلناً
أنني قد اخترت قد اصطفت بلا امتيراً^(١)
وباستطني ياماً الذة قائلأ
تمتع وكحل بالجمال نواظراً
فقد طالما قد كنت تصبو إلى اللقا
وكان جمالي بالحجاب مستترا
وكم من شهيد مات بالشوق والفنا
محباً لذاك الحسن لو كان قدراً

(*) القصيدة في نص، ص: ١٥٦، ١٥٨ [وفي بعض إبياتها اضطراب في الوزن واضطراب في القافية وخصوصاً سناد التأسيس] (م).

(١) في البيت كسر عروضي.

وكم من شهيد الغرام مشاهد
 لبعض الذي شاهدت مات فأقبراً
 وذا قيس عامر تخيل نورنا
 في ليلى فمات والهأ متحيراً
 لقد سبقت بالفضل منأ عناية
 إليك فحدث عن عطاي مخيراً
 وغن وندين لا تمل لفند
 وكن فرحاً بالوصل لله شاكراً^(١)
 تمل وقرو عينا وانعم بوصلنا
 ابحنالك الذي ترى جل ما ترى^(٢)
 وتة وتدل أنت اهل لكل ذا
 فمن له مثل ذا يكن بذا أجدر^(٣)
 وقد شرب الحلاج كاس مدامة
 فكان الذي قد كان منه مسطراً^(٤)
 وإني شربت الكأس والكاس بعده
 وكاساً وكاساً شيا ما أنا حاضراً^(٥)
 وما زال يسقيني وما زلت قائلاً
 له زني ما ينفك قلبي مسعراً

(١) في ص: لا تصل لفند.

(٢) الأصل: قر (فعل أمر من ق ر ر) وسكن الشاعر راعي الكلمة ضرورة (م).

(٣) الشطر الثاني مضطرب عروضياً.

(٤) الحلاج: أحد أقطاب الصوفية ذكره الأمير في مواطن شتى، كما استلهم بعض أخباره في شعره، وهو عنده كما في البيت من واضعي الطريقة الصوفية. [انظر دراسة عنه في مقدمة ديوانه الذي صنعه د. كامل مصطفى الشبيبي، مكتبة النهضة - بيروت - بغداد] (م).

(٥) الشطر الثاني فيه كسر عروضي، فاثقل بالزحافات التي تضمنها.

وفي الحال حال السكر والمحو والفناء
وصلتُ إلى لا أينَ حَقًّا ولا وَرًّا^(١)
أنا الموسويُّ الأحمدِيُّ وراثَةُ
صعقتُ ودكَّ طورنا جَرى ما جَرى

(١) المحو: زهاب الشيء بحيث لا يبقى له أثر. والمحو والإثبات من ثنائيات السلوك الصوفي، كالفناء والبقاء، وربما هذه الثنائية مصدرها من قوله تعالى: ﴿يَسْحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ﴾ الرعد: ٣٩، وانظر: دسعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ندرة للطباعة والنشر / ط / ١/١٤٠١، ١٩٨١ ص: ١٠١٦.
والفناء: عند الصوفية هو فناء الخصال المذمومة، ولا يبقى منها إلا كل ما هو محمود والموسوي: نسبة إلى نبي الله موسى عليه السلام، والأحمدي: نسبة إلى محمد رسول الله ﷺ.

غاية الذي يبغي

[من الهزج]

قـيـا نـورًا بـلا شـمس
ويا شـمسـاً بـلا نُورٍ^(١)
ويا بـخـراً بـلا حـدً
وسـاحـلاً بـلا بـخـرٍ
ويا نُخـراً بـلا عُـرْفٍ
ويا عُـرْفـاً بـلا نُخـرٍ
ويا غـيـراً بـلا عـيـنٍ
ويا عـيـناً بـلا غـيـرٍ
ويا سـيراً بـلا كـشْفٍ
ويا كـشـفاً بـلا سـئـرٍ
ويا قـجـراً بـلا لـيـلٍ
ويا لـيـلاً بـلا قـجـرٍ
يا حـيـرتي يا دَهِشـتي
يا حـرفـاً مـاله مُـقـرٍ^(٢)
لـقـد حـيـرتني حـتـى
في حـيـرتي وفي امـرئٍ^(٣)
وحـارَ كلُّ ذِي كـشْفٍ
وذِي عـقـلٍ وذِي فـيـكـرٍ
وغـايـة الذي يـبـغـي
عـرفـناكم إلى خـسـرٍ^(٤)

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٢٠٩.

(٢) البيت مضطرب: شطره الأول من مجزوء الرجز، والشرط الثاني لا وزن له على هذه الصورة، وكرر هنا أن شعر الأمير الصوفي مضطرب لاضطراب النقل عنه، أو لإدراج الناسخ ما يشبه الشعر بالشعر (م).
(٣) مضطرب.

(٤) في "ص": عرفانكم، وعلى الحالين: البيت مضطرب أيضاً: معنى أو وزناً (م).

حَقِّقِ الْأَمْرَ (*)

[]

أَنَا كَوْنُ ذَاكَ كَوْنِي أَنَا وَحْدِي أَنَا فَرْدٌ
لَا شَكَّ أَنِّي مُجْبُورٌ وَجَابِرُنِي مُجْبُورٌ^(١)
بِالْعِلْمِ مِنْهُ قَيْدُهُ لَا تَبْدِيلَ لَا تَغْيِيرَ
وَالْعِلْمُ أَيْضًا تَابِعٌ لِمَتَّبِعِهِ وَمَقْصُورٌ
فَكَلْنَا فِي قَبْضَتِهِ مَقْيُودٌ وَمَحْصُورٌ
فَأَيْنَ لَوْ شِئْنَا وَلَوْ أَرَدْنَا فِيهِ تَخْيِيرُ
يَا حَيْرَةَ الْعَقْلِ وَيَا ظِلْمَةَ مَا لَهَا نُورُ
وَالْجَبَرُ لَا عِذْرَ بِهِ لِجَاهِلٍ يَا مَغْرُورُ^(٢)
سِوَى الَّذِي عَرَفَهُ كَشَفَا فَذَلِكَ مَبْرُورُ
فَحَقِّقِ الْأَمْرَ تَفَرُّقُ بَعْلَمٍ عِنْدِي مَدْخُورُ^(٣)
وَتَنْجِسُ ————— ثُلَّ مِنْ نَجَى
وَلَا ذَنْبَ مَعَكَ ————— فَرْدُ

(* هذه تهويمات واذكار صوفية لا تدخل في الشعر (م).

(١) الأبيات في "ص"، ص: ٢٠٧، والبيت في "ص" هو:

« لا شك اني مجبور جابرني مجبور
والجبر لا يمنى به لجاهل يا مغرور»

والأبيات كأغلب القصائد الواردة في "المواقف" غير متمثلة لبحر واحد بحسب تفعيلاتها المعروفة.

(٢) في "ص" الشطر الثاني «سوى الذي عرفه كشفاً، فذاك مبرور».

(٣) في "ص" البيت:

«فحقق الأمر تفز بعلم عندي مسخو
وتنجسوا مثل نجا، والذنب منك مغرور».

هويته (*)

[.....]

وما نحنُ إن حَقُّقْتَ بالغير والسوى
هُويُّته سَمْعِي هويُّته البصر^(١)
هُويُّته عقلي هويته قلبي
هُويُّته كلي لا تبقي ولا تذُرْ
هُويُّته رجلي هويته يدي
هُويُّته نفسي وإني ما ذكرُ
وما حلُّني ولا حلَّته أنا به فكانني
مذُ كنت فاسمع لي واعتبر^(٢)
تعددت الألقاب والعين واحدُ
فما ثمَّ إلا الله لا عين الغير^(٣)
فشيئان لفظ نحن والعين واحدُ
فأنت هو الأنا وهو أنت فادكر^(٤)
يجيب إذا دعوت فهو الذي دعا
كرجع الصدى الثاني في الحسن والأثر^(٥)

(*) أكثر هذا النص لا يدخل في الشعر، وهو من الأذكار والتسبيحات والنجوى على مذهب القوم (م).
(١) الأبيات في "ص"، ص: ١٦٤، ١٦٥، وهي مضطربة في وزنها بحيث لا تعود إلى بحر واحد، وهي قريبة من النظم أكثر منها إلى الشعر، سجلت موقفاً من مواقف الصوفية أو هي إيماءات، وتعايير متوسل بها في شطحة من شطحات الفرق الصوفية، وقد أعادها صيام إلى بحر الطويل، وهو ما لا ينسحب عليها كما نلاحظ (٢) في "ص":

"وما حلني ولا حللت أنا به فكانني مذُ كنت فاسمع لي واعتبر".
(٣) البيت قريب من آخر للشاعر هو:
"تعددت الأسماء وإني لواحد إلا فاعبدوني مطلقاً نزهاً فرداً".
(٤) في "ص"، فسيئات لفظاً، وهو الذي، و: الحسن.
(٥) في "ص" الصدى: و: الحسن.

أَمَطْنَا الْحِجَابَ(*)

[من الطويل]

أَمَطْنَا الْحِجَابَ فَاَنمَحَى غِيْهَبُ السُّوَى
وَزَالَ أَنَا وَأَنْتَ وَهُوَ فَـلَا لَبْسٌ^(١)
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُنَا وَمَا كَانَ غَيْرُنَا
أَنَا السَّاقِي وَالْمَسْقِي وَالْخَمْرُ وَالْكَاسُ^(٢)
تَجَمَّعَتِ الْأَضْدَادُ فِيَّ وَإِنِّي
أَنَا الْوَاحِدُ الْكَثِيرُ وَالنُّوعُ وَالْجِنْسُ^(٣)
فَلَا تَحْتَجِبُ بِمَا تَرَى مَتَكْتُرًا
فَمَا هُوَ إِلَّا شَخْصَنَا النَّزْهَ الْقُدْسُ
فَمَّا كُنْتَ نَاطِرًا بِنَا أَنْتَ نَاطِرُ
إِلَيْنَا وَإِلَّا أَنْتَ أَعْمَى بِهِ طَمَسُ
هُوَ الدِّينَ تَوْحِيدِي فَلَا تَحْسِبْنِ غَيْرِي
يُوحِّدُنِي غَيْرِي هُوَ الشَّرْكُ وَالرَّجْسُ
فَمَا دُمْتَ غَيْرُنَا فَأَنْتَ شَرِيكُنَا
وَهَلْ تَمَّ غَيْرِيَا بَلِيدُ بِهِ هُوسُ
فَفَارِقْ وَجُودَ النَّفْسِ تَطْفُرُ بِالْمُنَى
وَزَايِلُ ضَلَالِ الْعَقْلِ إِذْ إِنَّهُ الْحَبْسُ^(٤)

(*) هذه القطعة وإن استقامت معظم أبياتها لا تدخل في الشعر. هي من مواجد العباد والزهاد التي يحسن فيها

السجع والتقفية والاقتراب من النمط الموزون، وما استقام من الأبيات والأشطار فهو من بحر الطويل (م).

(١) القصيدة في ص، ص: ٢١٥، ٢١٧، والغيب: الظلمة، أو الضباب، والحجاب في لغة المتصوفين: الطريق

الموصول به أي واصل وليس مانعاً كما في معناه الحقيقي والسوى عندهم تعني كل ما عدا الله من المخلوقات.

(٢) السكر: هو عندهم طبيعي، وعقلي، وسكر الكمل، أي سكر المؤمنين، والعارفين والسكر الإلهي.

(٣) الواحد: استعمله ابن عربي بمعنى القطب، وتجمع الأضداد أراد به وحدة الوجود.

(٤) زایل ضلال العقل إذ إنه الحبس: يوميء إلى ترجيح القلب على العقل كما في فلسفتهم.

وما توحىدي المقبول قولاً وإنه
 لفعل فلا يغرك جن ولا إنس^(١)
 وما هو إلا أن تصير إلى القنا
 وتصعق ليس ثم روح ولا حس^(٢)
 تشاهد أحوال القيامة جهرة
 تهيا لك الأكفان والغسل والرأس

(٢) الشطر الأول خارج عن وزن الطويل (م).

(١) وتصعق: من قول رسول الله ﷺ في إحدى خطبه: تعلم والله ليصعقن أحدكم مريداً بذلك الموت.

أيا حيرتي

[من المتقارب]

أيا حيرتي ما الذي أصنع
 لقد ضقت ذرعاً فما ينفع^(١)
 أكاد تراني منقطراً
 جواهري مبعثرة أجمع
 وطوراً أذوب كـ _____
 فسأل إلى أصله أنفع^(٢)
 وكلما قلت هذا مخرج
 يسد عليّ فمما أطلع
 فإن كنت غيراً أنا مشرك
 وإن كنت عينا فذا أقطع
 وإن كنت ذاك وذاك أنا
 فكل النقبي ضين لا يجمع
 وأين تسميه لي ظاهراً
 إذا لم يكن برقاً يلمع
 وأين تسميه لي باطناً
 إذا كان هذا هو الدفع^(٣)
 وكل العـ _____
 فقد جمع الضد لي مجمع^(٤)

(١) القصيدة، في "ص"، ص: ٢٣١، ٢٣٤ والنص فيه كثير من الزحافات التي جعلت وزنه مضطرباً، كما في

أغلب قصائده الصوفية بعامة [وفي الأصل: أيا حيرتي وما الذي..] (م).

(٢) آل: مضارعه يؤول، وقد أراد التغيير والتحول. [وقوله «بما» أي: «بماء»] (م).

(٣) أظنها «هو الدفع» (م).

(٤) الظاهر والباطن: لهما معان كثيرة عند المتصوفة مستنتجة من التاويلات التي يعطونها لهما، ومنها

الثبوت بالنسبة للظاهر، والتنوع بالنسبة للباطن، فظاهر الإنسان له الثبوت، وباطنه له التنوع انظر:

دسعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص: ٧٥١-٧٦١.

وطوراً لا شيء يـقـسـالُ لهُ
 أنا العالم الأكـبـر الأجمـعُ
 أنادي مسغيثاً فلا منجـدُ
 فسقيـرٌ دعاه فلا يستـمـعُ
 فهل من دواءٍ بهذا العـضـالِ؟
 ولا من يجـيـرُ ولا يدقـعُ^(١)
 وكلُّ طـبـيبٍ شـكـوتُ لهُ
 يقـسـول فسـدُ الداءِ لي المـوجـعُ
 وأهربُ من حـيـرتي كلـمـا
 توالـتُ فـكـان لهُـا المـرجـعُ
 فـحـيـرتي ما كـنتُ كـائـنةُ
 وحسـتُ القـسـيـامـة لا تُقـلـعُ
 فاشكـو إلى حـيـرتي حـيـرتي
 فليسَ إلـى غـيـرها مـفـرـعُ
 وكم كـائـنٍ بـهـذا ائـتـلي
 وكلّ لـقـبـدُ ضـمُّ ذا المـصـرـعُ
 فـيـا خـيـبـة العـقـل في حـكـمـه
 علـى العـيـن سـتـر فـلا يـقـشـعُ
 فـايـن الذي فـوق عـرـش عـلا
 ومن هـو في أسـفـل الأرض عـو^(٢)
 ومن أينـمـا تـتـولـى فـهـو
 لهُ ثـم وجـبـة به بـرقـع^(٣)

(١) لعل الأصل: «فهل من دواء لهذا العضال» أي لهذا الداء العضال (م).

(٢) كان قوله «عو» أو «ع» على طريقة الاكتفاء، أي ذكر جزء من الكلمة اكتفاءً عن سائرهما. والتقدير: عُبِد، مثلاً (م).

(٣) تمثل في البيت معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تُولَوْنَ بِوَجْهِ اللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥.

وَمَنْ أَيُّنَّمَا كُنَّا مَعَنَا يَكُنْ
وَمَنْ يَتَحَوَّلُ فِي صُورٍ فَاسْتَمِعُوا
فَمَّا بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ
عَقُولُ الْوَرَى اغْتَالَهَا سَبْعُ
وَتَاهَتْ فِي بَيْتٍ مَظْلَمَةٍ
مَجَاهِلُ أَرْوَاجِهَا زَعْرُ
سَكَارَى وَشَيْئِي مَذَاهِبِهِمْ
وَكُلُّ يَقُولُ إِلَيَّ اهْرَعُوا
فَعِنْدِي النِّجَاةُ وَعِنْدِي الْهُدَى
وَعِنْدِي السَّبِيلُ وَذَا الْمُهْيِغُ^(١)

(١) المهيع: الطريق الآمنة، أو السهلة.

عابد فكرة(*)

[من البسيط]

يا من غداً عابداً لفكره فقف
فانت يا غافلاً على شفا جُرف^(١)
جعلت عقلك هادياً ونور هدى
أضلك العـقلُ أيقن أنت في تلف^(٢)
نحت رباً كما تهوى وقلت به
تظل تعبداً ما خلقت في شغف^(٣)
صورته صورة بالوهم باطلة
حكمت جوراً عليه جور معتسف^(٤)
حكمت عقلك في الرب العظيم فما
تنفك تحكم فيه حكم ذي سرف
تقول ليس كذا وليس هو كذا
الحق في طرف و أنت في طرف
قيدتكم مطلقاً لا قيد يحصره
القيد حد وليس الله كالهدف
فكيف تنكر وصفه، حقيقته
نفيت ما أثبت القرآن في صُحف

(*) في بعض أبيات القصيدة اضطراب، وهي موصولة بالبحر البسيط (م).

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٢٤٣، ٢٤٤، وهي كأغلب قصائده في "المواقف"، حيث تميزت باضطرابات عروضية تجاوزت في بعض الأحيان حتى ما أتاحتها العروضيون للشعراء وعدوه شاذاً.

(٢) في كل شعره الصوفي ينتصر للقلب على العقل لإيمانه أن المعرفة عن طريق القلب أوسع منها عن طريق العقل، وهو توجه الصوفية بعامه.

(٣) في الأصل، وفي طبعة صيām: «ربما»، وأظنها مصحفة عن «رباً»، كما يدل السياق (م).

(٤) العسف: الظلم والجور، وتحميل الشيء ما لا يطاق.

لولا توهُمُ أن النقصَ يلحقه
 لما نَفِيتُ فإن النقي بعدُ يفي
 الحقُّ في مشرقٍ والعقلُ في مغربٍ
 شئْنا ما بين ذا وذا فلا تخفِ
 عليك بالشرعِ فالزم طريقته
 فحيثُما سارَ سرٌّ وإن يقفَ فقِفِ^(١)
 إن قال ليسَ كمثلي شيءٌ قل هو ذا
 أو قال لي أعينٌ فقل بذا كلفي
 شبهه تراه في التشبيهِ حتى ترى
 منزلها أخوا تشبيهيه بلا جَنَفِ^(٢)
 لا شكَّ أنك يومَ الحشر تنكره
 إذا تجلَّى لجمع الخلفِ والسلفِ
 وتستعيدُ عياداً منه جهلاً قَيَا
 خسارةَ العقلِ يا ويلاهُ من صُدِفِ
 عندي من العلمِ لبُّه وجوهره
 والناسَ أعينهم ترنو إلى الصَّدِفِ
 قد قسَّسَتْهم عوائدُ ونبتهم
 تقليدٌ من يمشي نحو الظلمةِ السدِفِ^(٣)
 فلو وجسدتُ له أهلاً لبسحتُ به
 مستخرجاً كنزه المحفوفَ بالطُرفِ
 لكن أهله قد مضوا فلا طالبُ
 تلقاه يسُمو إلى العلياء والشرفِ^(٤)

(١) ينضبط الوزن لو قرئت: «فالزمن» والتوكيد أسلوب محبب إلى الأمير (م).

(٢) البيت غير موجود في «ص»، وغير مستقيم في وزنه أيضاً.

(٣) السدِف: الظلام الحالك.

(٤) في الأصل وطبعة د. صيام «العليا» ويرسم «العلياء» يصح الوزن (م).

لو حضرت

[.....]

يا صَاحِبَ إِنَّكَ لَوْ حَضَرْتَ سَمَاءَنَا
وَقْتَ انْشِقَاقِهَا حِينَ لَا تَتَمَّاسُكَ^(١)
وَشَهِدْتَ أَرْضاً زَلَزَلْتَ زَلْزَالَهَا
أَلَقْتَ مَا فِيهَا وَالْجِبَالُ دَكَاذِكُ^(٢)
وَنَظَرْتَ أَرْضاً بِدَلَّتْ وَسَمَاءَنَا
وَبَرَزْخُنَا خَلَلْنَا وَكُلُّ هَالِكُ^(٣)
وَشَهِدْتَ صَعَقَتْنَا وَالْإِلَهَ قَائِلُ
الْمَلِكُ لِي الْيَوْمَ مَالِي مَشْشَارِكُ^(٤)
ثُمَّ الْأَنَاقَةُ وَالْمَهْيِي مَنْ يُلْقِي مِنْ
آيَاتِهِ وَيَقُولُ أَنْتَ مَسْبُوبَارِكُ
لَشَهِدْتَ شَيْئاً لَا يَطَاقُ شَهْوَدُ
وَسَمِعْتَ مَالاً مِنْهُ يَدْرِكُ دَارِكُ
وَعَلِمْتَ أَنَّ الْقَوْمَ مَاتُوا حَقِيقَةً
فَلِذَا أَبَاحَ لَهُمْ حِمَامَةُ الْمَالِكُ

(١) المقطوعة في "ص"، ص: ٢٤٧ وهي ككل أشعار «المواقف»، مضطربة الوزن.

(٢) فيه معاني سورة الزلزلة ، و: دكاذك: متساقطة، مهدمة.

(٣) البرزخ: الحاجز بين الشيئين أو ربما أراد ما بين الشك واليقين.

(٤) من قوله تعالى: ﴿لِإِنَّ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ غافر ١٦ .

يا عظيماً تجلى

[من مجزوء الرمل]

يا عظيمــــــــــــــــمــــــــــــــــأ قــــــــــــــــد تجلّى
كلُّ مــــــــــــــــجــــــــــــــــلى له مــــــــــــــــجــــــــــــــــلى^(١)
أنت مــــــــــــــــدي كلُّ بــــــــــــــــار
أنت أــــــــــــــــبدى أنت أجــــــــــــــــلى
كلُّ من في الكون انتم
أنت مــــــــــــــــولى كلُّ مــــــــــــــــولى
حسبك البــــــــــــــــاري تعــــــــــــــــالى
أن نرى عنده مــــــــــــــــســــــــــــــــلا
كلُّ حسنٍ مــــــــــــــــســــــــــــــــتــــــــــــــــعار
من جمــــــــــــــــالٍ قــــــــــــــــد تدلّى
أي حــــــــــــــــسنٍ أي حــــــــــــــــسنٍ
غير حــــــــــــــــسنٍ قــــــــــــــــد تعلّى
كنت قبل اليوم صــــــــــــــــبــــــــــــــــاً
أسال المحبــــــــــــــــوب مــــــــــــــــســــــــــــــــلا^(٢)
فــــــــــــــــأزال الســــــــــــــــتــــــــــــــــر عني
فــــــــــــــــبدأ لي الفــــــــــــــــصل وصلــــــــــــــــلا
زادني القــــــــــــــــرب احــــــــــــــــترقــــــــــــــــاً
فــــــــــــــــأنا بالوصلِ أصــــــــــــــــلى
عــــــــــــــــجــــــــــــــــبي من عشق نفسي
ما احــــــــــــــــببت غيري أمــــــــــــــــلا

(١) القصيدة في ص، ص: ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) الصب: العاشق الولهان المحروم.

ليس تشـيـبـي و غـزـلي
 و غـمـي رـامـي إلا^(١)
 أنا سـمـي أنا سـمـي
 أنا هـنـد أنا لـيـلـي
 أنا بـدر أنا شـمـس
 أنا صـبـح قـسـد تجـلـي
 أنا نـور أنا نـار
 أنا بـرق ضـاء لـيـلـا
 أنا كـاس أنا خـمـر
 أنا أـسـقـى أنا أـمـلـي
 كـتب العـشـق زبـورا
 في فـؤـادي فـهـه و يـثـلـي^(٢)
 كل يـوم كل حـين
 كل أن فـهـه و يـمـلـي
 ما نـسـيت الدـهر و قـتـا
 قـد تـقـضـي بـالمـصـلـي
 بـين أنـس لـهـه
 و غـمـي زـال قـد تـحـلـي^(٣)
 و حـسـنات غـانـيات
 كـحـيـلات و لا كـحـلـا^(٤)

(١) البيت والبيتان بعدهما غير مثبتة في "ص".

(٢) البيت غير موجود في "ص".

(٣) البيت والبيتان بعده غير واردة في "ص".

(٤) كذا في الاصل، واظن الشطر الاول: «وحسان غانيات» وبذلك يصح المعنى والوزن معاً (م).

وَأَسْـَٔلُكُمْ خِصَارِيَّاتٍ
تَصْرِغُ الْأَبْطَالَ قَسَاتٍ
كُلُّكُمْ لَكُمْ لَذِيذٌ
وَنَعْمَ يَوْمُ الْوَصْلِ أَحْلَى
كُلُّ بِلَوَايَ حَقَّ يَوْمٍ
حَسْبُكُمْ كُنْتُمْ بِي أَوْلَى

من أكون؟

[.....]

أَيَا أَنَا مِنْ أَكُونُ — إِنْ لَمْ أَكُنْ أَنْتَ
وَيَا أَنْتَ مِنْ تَكُونُ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنَا^(١)
مِمَّا بِالْكُمْ قَلْتُمْ إِلَهُ وَأَعْبَدُ
فَكُنْتُمْ لَذَلِكَ طَاشَتْ عَقُولُنَا
إِذَا رُقِيعَتِ مِنْ بَيْنِنَا الْعَيْنَ وَالْأَلْفُ
فَقَدْ رُفِعَ السِّتْرُ الْمَفْرَقُ بَيْنِنَا
وَذَلِكَ حِينَ لَا أَنَا لَكَ عَابِدُ
وَلَا أَنْتَ مَعْبُودٌ فَزَالَ حُجَابُنَا

(١) الأبيات في 'ص'، ص: ٣٠١ وقد أرجعها «صيام» إلى البحر الطويل، ولست أدري كيف وصل بها إلى هذا التحديد غير الدقيق تماماً.

يقولون

[من الطويل]

يقولون لا تنظر سعاد ولا علوا
وعد من الآثار واقصد لمن تهوى^(١)
فإنك مكلوم الفؤاد متيماً
أخو جنة بل منها داؤك ذا أدوى
وقد ملك الليل البهيم تحرقاً
كانك ملسوع وحالك ذي أسوا
فقلت أراني ما أرى غير من سبأ
فؤادي ومن قد ضاعف الضر والبؤى
نظرت إليه والمليحة تحسبن
نظرت إليها لا ومبسمة الاضوا
ولكن جمال من أحب تبدي لي
فها أنا ذا أبدي إليه به الشكوى
يكلمني بالرمز من خلف ساتر
وما كل ما أملت عيون الظبا يروى
فلا متكلم سواء مخاطب
ولا سامع إله للسر والنجو
أخاطبني إيائي فيه تحقاً
فأسمعني إيائي في ولا غرواً

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٣١٩ - ٣٢٠ سعاد وعلوا عروستان من عرائس الشعر العربي بعامة والصوفي منه بخاصة، وهما من رموز العفة والنقاء.

فيا ويح ما أعلل النفس في الهوى
ولا أرتجي وصلاً ولا أرتجي سلوى
فقل للذي ما ذاق طعم شرابنا
ولا خاض بحرنا حقيقاً ولا دعوى
إليك، تنح إننا خضنا ابصاراً
وتلك البحار بعدنا تركت رهواً^(١)

(١) تنح: كان ينبغي أن تكون مجزومة، والرهو: الهدوء والسكون.



ب - قصيدتا المذكرات

وصف رحلته إلى بو(*)

[من الوافر]

إِذَا مَا سَلْتُ عَنْ خَيْرٍ وَخُبْرِي
فَيَأْنِي لِنَعْمَةِ إِلَهِ شَاكِرٍ^(١)
وَقَدْ وَافَيْتُ عَزًّا فِي فَرْسَتَا
وَلَيْتَا فِي الْأَصْغَارِ وَالْأَكْبَارِ
وَعُطْفًا وَانْحِنَاءً وَارْتِحَامًا
يَقْوِي مَا رَجَوْنَا مِنَ الْأَكْسَارِ
فَتَرْتَجِي لَذَاكَ سِرَاحَ سَيْثَرِ
إِلَى بَطْحَاءِ مَنْسُكَيْهَا الْمَشَاعِرِ
وَتُكْمِلُ كَلِمَةَ الْجَمْعِ هَوْرَ عَنَّا
قَصَصَدْنَاهُمْ بِابْحَرٍ زَوَاخِرِ
بِشْهَرٍ مَحْرَمٍ جِئْنَا وَفُودًا
لِبَابِئُورٍ يَجْرُ الْمَاءُ مَاخِرِ
مَكْنُنَا أَشْهَرًا خَمْسًا بَيْرِ
يَنْبِيلُ الضَّيْفَ جُودًا بِالْأَزَاهِرِ
وَمَنْ أَطْلُونِ سِرْنَا فِي قَسْبَابِ
ثَمَانٍ مِثْلَ أَعْيَادِ الْجَوَاهِرِ^(٢)
إِلَى فَلَكَ عَلَى مَعَاوِنَارِ
وَجَمْعُ الضَّدِّ يَبْهَتُ النَّوَاطِرُ

(*) القصيدة مضطربة الوزن فبدت الزحافات فيها كثيرة، وتجاوز المباح عروضياً أيضاً وقد عدها مصدرو المذكرات على أنها قيلت عن مدينة طولون، ومضمونها كما تجلّى غير ذلك.

(١) لعل النص «إذا ما سلت عن خبيري وخبيري» وقول الشاعر «سلت» أي : سألت (م).

(٢) طولون: مدينة فرنسية.

سـرـيـنـا لـيـلـةً وـالـيـسـومَ كـلـاً
 لـسـيـتَ وـمـا بـهـا سـوءٌ لـمـا كـر^(١)
 فـسـنـهـا مـنَ وـسـى وـمـنَ تـأسـى
 وـقـيـاءٌ لـلـمـخـطـابِ وـالمـخـابِ^(٢)
 وـمـنـهـا رـكـبـنـا وـادياً زـلـالاً
 وـفـي اسـطـولـه عـجـبُ الشـوـاطِ^(٣)
 كـانَ الشـمـسَ حـلَّتْ بـرْجَ حـمـلٍ
 وـمـطـلَعُ بـُـرْجـهـا بـيـنَ القـنـاطِ^(٤)
 وـفـسـاقَ بـهـا وُـها بـنـسـجٍ وـصـنـعٍ
 مـدـارِجَ هـيـكـلٍ تُسـلـي الخـوـاطِ^(٥)
 وـمـنَ بـعـدِ الزـوالِ لـهـا ارـتـحـالٌ
 لـقـصـطـلَ نـوـضـري وـالعـذبُ حـادِ^(٦)
 فـارـسـتـيـنـاهُ فـي نـزـلٍ رـفـيعٍ
 وـقـدَ حـمـدنا نـزـولَ المـصـادِ
 لـهُ ثـلـوثـيـاعٍ لـلـمـزـايـا
 سـجـجـايـا أهـلـهـا زـيـنُ النـوادرِ
 وـبـعـدَ المـعـشِ وـارـتـيـيـاحٍ بـسـطِ
 رـكـبـنـا فـي القـبـابِ لـهـا دـوائِ
 مـجـاـوزـينَ قـصـرٍ أشٍ وـطـاربِ
 فـاخـذُـدقَ أهـلـهـا فـي زِيٍّ نـاطِ^(٦)

(١) لسيت: مدينة (Sète) تقع غرب مرسيليا، توقف فيها الأمير، وهو متوجه من طولون إلى بو.

(٢) يريد حذاقة قائد الباخرة، ومهارته في اختيار الطريق.

(٣) ربما «قد ركبنا» لاستقامة الوزن.

(٤) لعل «نسجا وصنعا» حتى يستقيم الوزن.

(٥) قصطل: مدينة (Castelsarasiv) تقع على ضفة القنال المحاذي لنهر القرون بفرنسا. البيت مضطرب عروضياً.

(٦) أش (Auch) مدينة على نهر الجير تقع جنوب غرب باريس، وتبعد عنها بحوالي (٦٨٠) كلم. والبيت مكسور عروضياً، (Tarbees) أيضاً مدينة تقع في الاتجاه نفسه من باريس، وتبعد عنها بـ (٧٧١) كلم.

مـحـبـة باضـوا عـر تـدائـوا
 بـشـ عـل النار مـنـتـظـر وناظـر
 وکلـهم عـلـی الإـشـفـاق لبـوا
 واعلن بالـتـودـد لا مکـابر^(١)
 حـطـطـنا الرـخـل فـی واد عـظـیم
 بـحـافـئـه ریاض زواہـر
 بـقـصر مـشـرف النـزهـات یـصبـو
 إلی مـصـبـاء "بـو" للـبـوء ظـافـر^(٢)
 ولاخ لنا به کـتـاب سـهل
 مـن الجـمـهـور مـتـضـح البـشـائر
 ویرمـز بالصـراحـة لا قـتـراب
 مـن التـسـرـیـح والإله قـادـر
 فکـم أبـدت لنا مـن حـسن جـود
 مـدینـة "بـو" ونعم مـا تـظـاہـر

(١) لعله أراد بـ «لبوء» فهو بو (Pau)

(٢) أراد نزوله بمدينة بو (Pau) التي تبعد بـ (٧١٥) كلم عن باريس، وتقع جنوب غربها، وفيها اعتقل الأمير عبدالقادر بعد تولون.

في مدينة طولون

[من البسيط]

أطلونُ اغْمَرْتَنَا بالبسط والنعم
أَنْلَتِنَا كرمًا بالفضلِ منفعِ^(١)
أطلون طَلَّتْ رَفِيعاً شَدَّتْ في غَرْفِ
تعلُّو على غَرْفِ بالموجِ ملتطمِ^(٢)
أطلونُ قَسَدَ عَلَّتْ الجِبَالُ مَنْزِلَةً
يَا حَبِذَا الرِّقْعُ مَنُتَوَى كل منفعِ
سهلتِ سهلاً فَجَرَّتْ أهلاً في سمةِ
بأوجهِ لحسانِ الوجهِ في شيمِ^(٣)
لها السَّمَا حَةً إِذْ قَدْ زَانَهَا حَوْرُ
ممشَى جَدَاعٍ بِحُضْرٍ صَفْرَةِ النُّعْمِ
تُلْهِى بَانْعَامِهَا تَسْنِي بِأَجْرَاسِهَا
تُبْدِي مَصَانِعِهَا بِرَوْنِقِ الهَمَمِ
خَزَانَةِ الْمَلِكِ جَدَاً فِي بَنَادِقِهَا
وَفِي فَنَادِقِهَا مَا شِئْتُ مِنْ زِيمِ^(٤)
مَدَافِعُ كَوْرَهَا تَسْطُو بِمَجْتَرِي
مَكَاحِلُ زُنْدُهَا بِالنَّارِ مَنُتَسِمِ^(٥)

(١) أطلون هكذا وردت في النص، والصحيح «طلون»، وهو ما يستقيم معها الوزن أيضاً، وهي تقع جنوب شرق باريس وتبعد عنها بـ ٨٤٠ كلم، وجه إليها الأمير عندما ود الانتقال من وهران إلى المشرق.

(٢) لعل شد في غرف لاستقامة الوزن.

(٣) الشطر الأول غير مستقيم الوزن.

(٤) الزيم: القطع، والتفرق، أو المكتنر، وربما أراد ما ترغب فيه، وتريده، وتشتهيه.

(٥) مكاحل جمع مكحلة: البندقية (شائعة في الجزائر ومناطق أخرى في المغرب العربي) (م).

كوابسٌ ونبالٌ والسيوفُ لها
 حدُّ السنانِ ترى كالأنجمِ الرُّسمُ^(١)
 تماثلُ الإنسِ كالحرَّاسِ قائمةٌ
 من سابغِ الذيلِ أو في الحربِ ملتئمِ^(٢)
 وآلةُ الصنعِ كالدولابِ تُحرِّكُهُ
 من صاعِدها بطنٌ للاضطرابِ ثم^(٣)
 كلُّ الأفانينِ ما الأشجارُ صُورَتْها
 من السلاحِ لذُكْرِ النخلِ والكرمِ
 والرمزُ منها يقولُ هي منتجةٌ
 لنيلِ جمعِ ثمارِ الهضبِ والأكمِ^(٤)
 فهي الوسيلةُ للمقاصودِ من ملكِ
 قد عشقَ اللهوَ بباريزَ من خدمِ^(٥)
 تفاخرَ لعبِ الدنيا بزِينَتِها
 تكاثرُ المالِ والأولادِ فاكتمِ^(٦)
 أبوابُ سلطنةِ القديمِ ناميةٌ
 لدى الجديدِ بما يريدُ من عَمَمِ
 ترنَّقتُ بفؤادِ النَّائِي مملكةُ
 حوتِ فرُستَا بها مدائنُ النعمِ^(٧)

(١) كوابس: مسدسات (عامية).

(٢) في الأصل: تماثيل، وهو ما لا يستقيم عروضياً.

(٣) للاضطراب ثم: صافي.

(٤) الأكم: التلال.

(٥) البيت عدل بحسب ما ذكر مثبتو النص، ولم يوردوا البيت الأصلي في المتن، أو الهامش.

(٦) في الأصل: ولا أولاد، وهو ما لا يستقيم معه الوزن.

(٧) النَّائِي: كذا في الأصل، وهو ما يجعل الوزن مضطرباً، ويصير سليماً بالناء دون الياء.

مراكبُ الفلكِ في البحارِ ماخرَةٌ
 ما بينَ رائحٍ أو غسادٍ مع الأضم^(١)
 لاحتُ قلائعُها نارتُ علائقُها
 ضاعت مشارقُها بالجوِّ والعلمِ
 فالجسمُ ما السَّاج والأرواح موقدها
 دخانُها السرجُ والمهمازُ في كتم^(٢)
 نعم ومركوبُها يمُ ميانةُ
 للسبيقِ لا مثْلُها في طيسرٍ أو دهم^(٣)
 تمَّت محاسنُها فمَّت أحاسينُها
 لو أنَّها أحسنتُ إلى السُّرِ احْرُمُ؟
 فتكمِل الكرمَ المسدولَ منها على
 ضيفٍ أتى عانياً يبغي الجواءَ سمي

-
- (١) عد محققو النص الشطر الثاني مختل الوزن، وهو كذلك لكن بمنع رائح من الصرف كما اثبتنا يصير الوزن مستقيماً، والأضم: المجتمع.
- (٢) ما الساج: أراد من الساج أي أن هيكل السفينة مصنوع من الساج، والمهماز: ما يهمز به، حديدة في مؤخر خف الرائص، وفيكتم، كذا في الأصل، والأصح: في كتم ليستقيم الوزن.
- (٣) الدهم جمع الأدهم، وهو من الخيل والإبل الشديد السُمْرة، ومعاني الدهمة في اللغة أكثر ما تدور على السواد وما يقاربه (م).

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - عبد القادر (الأمير) الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، منقحة، دمشق، سورية ١٩٦٧ .
- ٢ - مذكرات، تحقيق: د/محمد الصغير بناني، د/محفوظ سماتي، د/محمد الصالح أجون، دار الأمة، ط٢، الجزائر ١٩٩٨ .
- ٣ - د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق وشرح وتعليق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨ .
- ٤ - محمد (باشا) ابن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مطبعة المعارف، مصر، بلا تاريخ.
- ٥ - تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، الطبعة الثانية منقحة ومزودة، بيروت، لبنان، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.
- ٦ - د. ممدوح، حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، مزودة ومنقحة، بيروت، ١٩٦٤ م.
- ٧ - د. محمد ناصر، منتخبات من شعر الأمير عبد القادر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ .

فهرس الأعلام

١٤١	إبراهيم أدهم
٩٠	أبو النصر الطرابلسي
١٤١	الأخف
٤٥	الحسن البصري
١١٦	بلال
١٤١	حاتم الطائي
٩٦	حسين
١٧٠	الحلاج
١١٦	حمزة
١١٩	خليل (باشا)
٦٤	داود
١١٧	الزبير
١٦٦ ، ١٥١	زيد
١٨٧ ، ٦١	سعاد
١٠٣	سعد
١٨٤	سعدى
٩٦	سعيد
١٨٤	سلمى
١١٦	طلحة
١١٣ ، ١١٠	عبد المجيد

عبد القادر	١٦٨ ، ٣٦
عبد الكريم الحمزاوي	١٢٣
عثمان	١١٦
عقبة	١١٧
علوى	١٨٧
علي بن أبي طالب	١٤٤ ، ١١٦
عمر بن الخطاب	١١٦
عمرو بن العاص	١٤٤ ، ١١٧
قيس	١٧٠ ، ١٦٧
كسرى	١٤٦
ليلى	١٨٤ ، ١٦٧
محمد الفاسي	١٤١
محمود الحمزاوي	١٢٥
مصطفى	٩٦
معاذ	١١٧
هند	١٨٤ ، ٦١
يوسف	٨٤

فهرس الأماكن

آش	١٩٢
بابل	٩٠ ، ٦٤
بو	١٩٢
باريز	١٩٥
برج العين	٤٦
بروسة	١٢٠ ، ١١٩
البيت (العقيق)	١٣٩
تلمسان	٣٦ ، ٣٤
الجزائر	٣٦
جكركة	١٢١
حاجر	١٠٤
خنق النطاح	٤٥
دارين	٨٧
دمر	١٣١
الرصافة	١٣٢
شعب بوان	١٣٢
طارب	١٩٢
طلون	١٩٢ ، ١٩١
طيبة	١٣٠ ، ١٠٤
العقيق	١٠٤
فرنسا	١٩١ ، ٣٣
قصطل	١٩٢
قباء	١٣٠
المرسى	٣٦
مضر	١١٦
مكة	١٥٣ ، ١٤٥ ، ١١٠
نار باش	١٢١
نجد	١٥٧
وادي العقيق	١٣٠
وهران	٣٦

فهرس مطالع القصائد وقوافيها وبحورها

الصفحة	البحر	القافية	أولها
٢٩	الطويل	العظمى	لئن كان هذا الرسم
٣٠	الطويل	قدرا	أبونا رسول الله
٣١	الوافر	رجال	لنا في كل مكرمة
٣٤	الطويل	نداما	إلى الصون
٣٧	الطويل	أحوالي	تسائلني
٣٩	البيسط	والقفر	يا عاذرا لأمري
٤٣	الطويل	الثوى	توسد بمهد الأمن
٥١	الوافر	واد	ألا قل للتي
٥٢	الطويل	تنور	إلام فؤادي
٥٣	الطويل	شفا	فإن كان هذا البعد
٥٤	الوافر	سار	أود بأن أرى
٥٦	الوافر	ودادي	أقاسي الحب
٥٩	الطويل	سجال	جفاني من أم البنين
٦٠	الطويل	والبعد	أقول لمحبوب
٦٣	البيسط	عن حد	أحباب قلبي
٦٤	الطويل	بالخال	خليلي وافت منكم
٦٧	الطويل	ذكاء	سألت رجال الطب
٦٨	الطويل	الأدلة	أقول لقوم
٧١	البيسط	ترغبه	أخي
٧٢	الكامل	مواسم	أهلاً وسهلاً بالحبيب
٧٤	الطويل	الصدر	نعم ولكم
٧٥	الطويل	رضوى	خليلي
٧٦	البيسط	الحزن	يا قرّة العين
٧٧	الوافر	القلوب	بني
٧٨	الطويل	أوجع	فديناك

٧٩	الطويل	بالطب	خليلي لا تندم
٨٠	مجزوء الرمل	حالك	يا ملولا
٨١	الطويل	والعطر	سلام عليكم
٨٢	الطويل	الضراً	أما أن للخل
٨٤	البسيط	معانيها	أنت مهتة
٨٦	الكامل	باهر	أحلى المديح
٨٧	البسيط	تزين	بديعة الحسن
٨٩	الطويل	ند	أما والذي
٩٠	الطويل	بقاعه	أتاني كتاب
٩٢	الكامل	حرراً	أقول على صدق
٩٥	الكامل	السند	يا سواد العين
٩٧	الكامل	دليلاً	الله أعلم
٩٨	الكامل	تجمل	يا أيها الريح
١٠٣	الكامل	خفا	ماذا على سادتنا
١٠٧	البسيط	مددي	يا سيدي يا رسول الله
١٠٨	الطويل	يطير	ألا إن قلبي
١٠٩	البسيط	إقبالاً	الحمد لله تعظيماً
١١٣	البسيط	إعلاناً	يارب يارب
١١٨	المتقارب	في حساب	ولم أر أعظم
١١٩	الوافر	نقياً	ألا فافر الخليل
١٢٠	الطويل	أرسي	أبي القلب
١٢٣	الوافر	عبد الكريم	فذا ديوان سيدنا
١٢٥	الكامل	علاء	سرح سوادك
١٢٦	الوافر	قدرك	تفضل بالقبول
١٢٧	المتقارب	ما أجمله	خليلي
١٢٩	الطويل	والورد	تبخر يعود الطيب
١٣٠	الطويل	على الخد	تذكرت وشك البين
١٣١	الكامل	النضر	عج بي فديتك

١٣٣	تسيل	الطويل	وناعورة ناشدتها
١٣٤	والخل	الطويل	فلم يكن المولى
١٣٧	لا التسناس	الكامل	الحمد لله
١٣٨	ذكر	الطويل	أمسعود، جاء السعد
١٥١	العمر	الطويل	أيا نفس
١٥٢	والراح	البسيط	أوقات وصلكم
١٥٦	نيرانا	الطويل	عن الحب مالي
١٥٨	يصفحوا	الرمل	ليتهم إذ ملكوني
١٥٩	عبد	مجزوء الرمل	أنا حق
١٦٠	وآثارا	الطويل	أردد طرفي
١٦١	يهون	مجزوء الرمل	هن إذا ساعدك
١٦٥	كذب	البسيط	لا تعجبوا
١٦٦	حداً	الطويل	أنا مطلق
١٦٨	الحد	الطويل	أرى الذي أفناني
١٦٩	لا أرى	الطويل	تجلى له المحبوب
١٧٢	بلا نور	الهزج	فيا نوراً بلا شمس
١٧٣	مجبور	أنا أكون
١٧٤	البصر	وما نحن
١٧٥	لبس	الطويل	أمطنا الحجاب
١٧٧	ينفع	المتقارب	أيا حيرتي
١٨٠	جرف	البسيط	يا من غدا
١٨٢	تماسك	يا صاح
١٨٣	مجلى	مجزوء الرمل	يا عظيماً
١٨٦	أنا	أيا أنا من أكون
١٨٧	تهوى	الطويل	يقولون
١٩١	شاكراً	الوافر	إذا ما سلت
١٩٤	منفعم	البسيط	أطلون

الفهرس

٣	تصدير ، عبدالعزيز سعود البابطين
٥	مقدمة
٩	ترجمة الناظم
١٣	الديوان ونشره
٢٥	جدول الرموز المستعملة في التحقيق
٢٧ - ٤٨	أ - الفخر
٢٩	وراء الصورة
٣٠	أبو نارسول الله
٣١	بنا افتخر الزمان
٣٤	لبيك تلمسان
٣٧	بي يحتمي جيشي
٣٩	ما في البداوة عيب
٤٢	شددت عليه شدة هاشمية
٤٩ - ٦٨	ب - الغزل
٥١	مسلوب الرقاد
٥٢	دموع و نار
٥٣	منوا بلقياكم
٥٤	يتيه بدله عمدا
٥٦	بنت العم
٥٩	جودي بطيف
٦٠	فراقك نار
٦٣	أرضي بطيف خيال
٦٤	ذات خلخال
٦٧	ليس للحب دواء
٦٨	باللحظ تخذش وجنة
٦٩ - ٩٢	ج - مساجلات
٧١	متى ينقلب نحسي
٧٢	أهلا بالحبيب
٧٤	لا يأبى الكرامة إلا
٧٥	نعمة الشفاء
٧٦	يا قرّة العين
٧٧	الشوق يكتمه الأريب

٧٨	لا تعجل بلومك
٧٩	لا ندم ولا ملامة
٨٠	يا كثير البعد
٨١	ترك العادة ذنب
٨٢	الجوع يراني
٨٤	زكاة العلم
٨٦	أنا مخلص للود شاكر
٨٧	أنفاس أحبابي تحييني
٨٩	رباط الود مشدد
٩٠	يراع ينفث سحرا
٩٢	لن يبرا
٩٣-١٣٤	د- مناسبات
٩٥	طال ليلي يا أحبائي
٩٧	تحصنت لا خوفا من الموت
٩٨	الباذلون نفوسهم
١٠٢	عذاب الأسر
١٠٧	يا سيدي رسول الله
١٠٨	أعزني قلبا
١٠٩	آمن من حمام مكة
١١٣	توسلات ودعاء
١١٨	نعم الأكرمين
١١٩	بمن أعتاض عنك
١٢٠	غلاء الدار بالجار
١٢٣	كريم من كريم
١٢٥	محامد العلم
١٢٦	هدية وشكر
١٢٧	ما أكمله
١٢٩	عود وورد
١٣٠	مناجاة أحد
١٣١	جنات دمر
١٣٢	الناعورة العاشقة
١٣٤	وليمة الله

١٦١-١٣٥	هـ- التصوف
١٣٧	الحمد لله
١٣٨	أستاذي الصوفي
١٥١	غيب
١٥٢	مسكين لم يذق طعم الهوى
١٥٦	أنا الحب والمحبوب والحب جملة
١٥٨	أي واد صبحوا
١٥٩	وحدة الوجود
١٦٠	هو الباطن هو الظاهر
١٦١	كما كنت
١٨٨-١٦٣	و- الملحقان : أ- المواقف
١٦٥	حديث عجب
١٦٦	أنا مطلق
١٦٨	الذي أفناني
١٦٩	تجلي المحبوب
١٧٢	غاية الذي يبغى
١٧٣	حقق الأمر
١٧٤	هويته
١٧٥	أمتنا الحجاب
١٧٧	أيا حيرتي
١٨٠	عابد فكرة
١٨٢	لو حضرت
١٨٣	يا عظيما تجلى
١٨٦	من أكون؟
١٨٧	يقولون
١٩٦-١٨٩	ب- قصيدتا المذكرات
١٩١	وصف رحلته إلى بو
١٩٤	في مدينة طولون
١٩٧	- قائمة المصادر والمراجع
٢٠٠	- فهرس الأعلام
٢٠٢	- فهرس الأماكن
٢٠٣	- فهرس مطالع القصائد وقوافيها وبحورها
٢٠٦	- الفهرس


 Bibliotheca Alexandrina

 1101016



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت

2000